دراسات غربية

تشهد لتراث الإسلام

أ. د. محمد عماره



شهادات غربية لتراث الإسلام

مُهداة :

- إلى الذين يعتزون بتراث أمتهم .
- وإلى الذين يهرفون بما لا يعرفون !.

عرض وتقديم

أ.د محمد عمارة

- ١ -

عوامل
تَفَوُّق الإسلام



شهادة العلامة
مونتجومري وات
تمهيد

هذه الشهادة العربية، المنصفة للإسلام، وحضارته، وثقافته.. بل والمؤكدة على صدقه.. وعلى رقيه وتفوقه على الديانات الأخرى.. هي لواحد من أعمدة الاستشراق المعاصر، وأعمدة الثقافة العربية المعاصرة: المؤرخ والباحث الإنجليزي، النصراني الأنجليكاني (مونتجومري وات Montgomery Watt.. (١٩٠٩ - ٢٠٠٦م).

وهو متخصص في اللغة العربية وآدابها.. ومتخصص في الدراسات الإسلامية الأكاديمية.. وفي علم الكلام الإسلامي.. وفي التاريخ الإسلامي.. وعميد لقسم الدراسات العربية في جامعة (أدنبرا).. وحاصل على الدكتوراه في علم الكلام الإسلامي - بموضوع الكسب والجبر والاختيار.. وصاحب المؤلفات العديدة ومنها: (عوامل انتشار الإسلام) سنة (١٩٥٥م).. و(محمد في مكة) سنة (١٩٥٨م).. و(محمد في المدينة).. و(الإسلام والجماعة الموحدة) سنة (١٩٦١م).. و(محمد: النبي ورجل الدولة).. و(الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) سنة (١٩٦٩م).. إلخ.. إلخ.

وهذه الشهادة المنصفة للإسلام وحضارته وثقافته .. والمؤكدة على تفرق صدق الوحي القرآني - قد جاءت ثمرة لدراسات "مونتجومري وات" للإسلام - مقارنا بالديانات الأخرى - دراسات استمرت لأكثر من ثلاثين عاما - بدأت سنة (١٩٣٧م) - مع معايشة للواقع الإسلامي .. وحوارات مع العديد من علماء الإسلام .. حتى جاءت هذه الشهادة ثمرة لإبحار هذا العالم المرموق في بحار الديانات والحضارات والثقافات . في تاريخها المديد . وواقعها المعاصر .. حتى لقد جاءت هذه الشهادة - كما يقول هذا العالم المرموق : ثمرة لمراحل من التقدم والارتقاء نحو نظرة حيادية لا تنحاز لأي من الدينين - المسيحية والإسلام - رغم مواصلة العيش على أرض الواقع المسيحي، ممارسا لما تعرضه المسيحية على من يدين بها .. مع ما استلزمه هذا الارتقاء وهذه الحيادية من معاناة وتوتر داخلي !.

وهو . في هذه الشهادة . يتحدث عن :

١ - الأهداف المتوخاة من كتاباته عن الإسلام، مقارنا بالنصرانية.

٢ - ويقدم شهادة عالم نصراني غربي على صدق الوحي الإلهي كما تجسد في القرآن الكريم . وعلى تميز الوحي في القرآن عنه في التوراة والإنجيل .. وعلى صدق نبوة ورسالة محمد ﷺ .

٣- كما يشهد هذا العالم النصراني العربي على تراث القرآن .. وحدته .. وأصالته .. وعلى أن جمعه إنما هو جمع النبي .. وعلى الثقة بالنص القرآني المتداول بين الناس .. وعلى أن تعدد القراءات لبعض أحرف القرآن لم يؤثر في وحدة معاني النص القرآني .. وعلى مركزية القرآن ومحوريته في الثقافة الإسلامية.

٤- كما يشهد للغة العربية - لغة القرآن .. ولسان الشريعة الإسلامية - باعتبارها لغة حضارة وثقافة راقية ومتميزة.

٥- ويشهد لعالمية الإسلام .. وتفوقه .. ورقيه .. وبأنه منهاج شامل للحياة.

٦- ويشهد - كذلك - على أن انتشار الإسلام، وإزالته للمسيحية - في الشرق - إنما يرجع إلى الضعف الذاتي الكامن في تلك المسيحية، وإلى فشلها في تلبية احتياجات الإيمان الديني الذي تطمئن به القلوب .. وذلك على العكس من التوحيد الإسلامي، الذي حقق تفوقا لا يجارى في هذا الميدان .. وعلى استمرارية هذا الفشل - المسيحي - في عصرنا الراهن، والذي يحدد شكل تراجع المسيحية وتقدم الإسلام.

٧- كما يشهد على مكانة الإسلام، وعظمته المتميز في دين المستقبل ... وتفرده - دون الأديان الأخرى - في حل مشكلة العنصرية.

٨- وعلى نزعة التعصب في الحضارة الغربية .. وتمركزها حول ذاتها.

٩- وعلى خطر النظرة العلمانية على القيم والأخلاق.

١٠- كما يحدد - في شهادته هذه - شروط الحوار المثمر بين أهل الأديان.

يشهد «مونتجومري وات» على ذلك كله فيقول:



(١)

الأهداف

إن هدفي الأساسي هو:

* أن أقدم الإسلام بأفضل شكل مبسط للقارئ الأوربي والأمريكي الذي ينظر للأمور بمنظور ديني أو بمنظور علماني.

وإني أقصد بذلك أن أبطل مفعول الآثار الباقية من دعايات حروب العصور الوسطى (الحروب الصليبية). كما أني حاولت أن أجعل القارئ يتحقق، على نحو أفضل من ذي قبل، من أهمية الإسلام، التي تجلت طوال مئات السنين التي أعقبت حروب العصور الوسطى هذه.

* والهدف الثاني: هو أن أوضح للمسلمين أن الدارسين الغربيين ليسوا بالضرورة معادين للإسلام كدين، بل إنه من الممكن أن نجمع بين هذه الاتجاهات ...[١]

(١) مونتجومري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص٢٣)، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.



(٢)

الوحي القرآني

إن جزءاً من أهداف هذه الدراسة هو تعريف المسيحيين بمفهوم الإسلام للوحي، وتعريف الذين لم يدركوا منهم حتى الآن أن الوحي الإسلامي مسألة لابد من تناولها بجدية.

إن القرآن الكريم ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه. ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من رسول، اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة، أولاً، ثم لكل العرب. ومن هنا فهو قرآن عربي مبين. وهناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة، وقد تأكد ذلك عمليا بانتشار الإسلام في العالم كله، وقبله بشر من كل الأجناس تقريبا.

وهذه الفكرة نفسها عن «الوحي» اعتنقها مسيحيون كثيرون عبر القرون، فاعتبروا كلمات الكتاب المقدس هي كلمات الله نفسه. إلا أنهم - عادة - لا يفترضون أن كلمات الله قد حملها مصدر خارجي متمثل في ملك أو ملائكة يملونها على كتاب الأناجيل. وإنما يلقى في روع هؤلاء الكتاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقا. فالأنبياء الوارد ذكرهم في العهد القديم يعلنون دون تردد: «هكذا يقول الرب ...» لذا،

فلابد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات إنما هو بمعنى من المعاني كلمات الله حقا.

إني أعتقد أن القرآن بمعنى من المعاني صادر عن الله، وبالتالي فهو وحي.

وكما رأى المسيحيون أن تاريخهم شهد «حوارا» بين المسيحية وبين العلمانيين المناهضين للدين، فإن هذا يعني أنه من المستحيل الاستمرار في الأداء بوجود «وحي» أو «رسالة» أو «ديانة» مسيحية دون الاعتراف «بشيء» من الصحة «للوحي» أو «الرسالة» أو «الديانة» الإسلامية.

والمنهج الذي اتخذه في هذه الدراسة، هو أن أحاول تقديم ما أستطيع إلى مستوى الحقيقة الخالصة. ولن أتعرض للقرآن باعتباره من إنتاج محمد، وإنما باعتباره وحيا.

وكيف وصلت هذه الكلمات التي كونت التجربة الأولى إلى وعي محمد أو شعوره؟

إننا نؤمن بصدقه وإخلاصه عندما يقول إنها ليست نتيجة أي تفكير واع منه.

إن التجربة النبوية مع الوحي يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلي:

١ - محمد يشعر، وهو في حالة وعي، أن هناك كلمات بعينها تلقى في روعه أو تحضر في قلبه أو عقله الواعي.

[illegible]

[illegible]

[illegible] الموجودة ايامه قول صحيح

[illegible]

(٢)

ثراء العربية وجدته وأصالته وحفظه ومحوريته في الثقافة الإسلامية

[illegible]

[illegible] Inconsistency [illegible]

[illegible] Barren Conceptual Thought [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] (٦٦٥ [illegible] ٦١١ [illegible] ٥٤هـ [illegible]) [illegible]

[illegible] سنة ٦٥٠م)

[illegible] الأخرى

[illegible] في المجتمع الإسلامي

ويعد كتاب الطبري الذي [illegible] على طريقة [illegible] المجتمع الإسلامي [illegible] إلا ما هو [illegible] للحياة الإسلامية والحضارة [illegible]

(٤)

العربية . لغة حضارة وثقافة متميزة

[illegible]

[illegible]

[illegible] Standard Man [illegible]

[illegible]

(٥)

عالمية الإسلام وتفوقه .. ورقيه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بحركة [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
في [illegible]
[illegible] في [illegible] لا [illegible]
[illegible] في هذه
[illegible] في هذه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
العربي [illegible] في النفس

[illegible] The Will Of God [illegible]

[illegible] The Moral [illegible] Will [illegible] Command Ments [illegible]

[illegible]

[illegible] Religion [illegible] Critic [illegible]

[illegible]

(٦)

فشل المسيحية في الشرق الأوسط

[illegible]

[illegible] في هذه [illegible]

[illegible] في هذه [illegible] Arnold Toynbee (١٨٨٩ – ١٩٧٥م) على [illegible] قلب المسيحية)

[illegible]

[illegible] المؤرخ [illegible]
[illegible] Christopher Dawson (١٨٨٧ -
١٩٧٠) بعض هذه [illegible] التاريخية [illegible]
[illegible] عندما قال: إن محمداً [illegible] هو [illegible]
على شاكلة الإسكندر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) [illegible]
محمد هو مؤسس الدولة الإسلامية التي سرعان ما [illegible]
[illegible] دولة كبرى [illegible]
[illegible] في مواجهة الإمبراطورية [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] فيها [illegible]
[illegible] التي كان [illegible]
[illegible] في [illegible] الأول [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]

على [illegible] المسيحيين
[illegible] عدد كبير [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] والاجتماعية [illegible] في
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] كما حدث [illegible]
[illegible] في هذه [illegible]
في [illegible] (الأخرى) [illegible]
[illegible] في هذه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في [illegible] وفي [illegible] وحدث
[illegible] في [illegible]
بعض [illegible] الأخرى غير [illegible] بل [illegible]
[illegible] جديدة [illegible] الإسلام [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] الإسلام في [illegible]

[illegible]

(٧)

الإسلام هو الهيكل الأساسي لدين المستقبل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا يستطيع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] لمشاكل العالم الأخرى.

[illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] «[illegible]» [illegible] [illegible] [illegible] للإنسان عن [illegible] [illegible] [illegible] الآخرين [illegible] فقد يجد الإسلام [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] أخرى [illegible] [illegible] حرة [illegible].

والإسلام [illegible] [illegible] [illegible] قوى [illegible] عظيم [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بشكله الأساسي[1].

(١) [illegible] الإسلام والمسيحية في [illegible] ص ٢٢ (٢٢٨-٢٢٩).

(٨)

تعصب المركزية الأوروبية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] Paris [illegible] [illegible]

[illegible]

(٩)

العلم والعلمانية .. والقيم

- [illegible] المسيحية لا [illegible] [illegible] [illegible] (١)

و[illegible] المسيح [illegible] العلمي [illegible] [illegible] يؤدي إلى [illegible] نظرية [illegible] [illegible] حيث لا مجال للقيم [illegible] والأخلاقيات.

وكثير من المسيحيين الآن [illegible] كثيرا في [illegible] هذه النظرة العلمانية للعالم ويحتفظون في الوقت نفسه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذكرها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النظرة [illegible] التي [illegible] [illegible].

و[illegible] [illegible] من مختلف الأديان [illegible] [illegible] بين النظرتين [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

أن تتقبل الشكل الخاص حيث تتقبل شكله من
[illegible] بصدد نظرته [illegible] بين دينين [illegible] يؤمنون بمدى
معرفة شيء أكبر وأخص [illegible] من تفكيرهم أنه كلمة
محددة [illegible] لا نهائي [illegible] لا ينبغي
التعبير عنه بكلمة واحدة [illegible] بشكل صحيح

إن مثل هذا الكلام ليس حوارًا [illegible] معنى من المعاني
ذات الأهمية [illegible] هذه العبارات لا تعني شيئًا ولا قيمة
له حتى بالنسبة للمسلم الذي وصل إلى درجة عالية من
[illegible] أن يتحدث عن مثل هذه الأشياء [illegible] غير
[illegible] كلمة [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible] على
ظهر الأرض

وإذا وضعنا في اعتبارنا أن الحوار المقصود هنا يكون
بين [illegible] في [illegible] فمن الضرورة
أن يكون المشتركون في هذا الحوار [illegible] على درجة
عالية من [illegible] فلا يمكن أن
يكون هناك حوار من أي نوع [illegible] أحد الأطراف
[illegible] بعض [illegible] ولا [illegible] وهذا
ليس بالأمر اليسير [illegible] عن المعنى

الآخر. وثمة أسباب منها اختلاف المذهب والتنظيم والأفكار. فإذا كان طرفا الحوار مسيحي والآخر مسلم، يبحث كل منهما للآخر عن حجج وبراهين تدعم الخلاف بينهما. فهما سيجدان بسهولة كثيرا من العناصر تدعم الاختلاف. لكن هذا لن يؤدي إلى قيام حوار حقيقي. فمن شروط الحوار الرغبة في التعلم. وإذا كان الأمر متعلقا بثقافات مختلفة فهذا يعني تعبر العقلية والخلفية الثقافية والمعارف. لكن حين عقلية الأخرى [illegible] العقلية الغربية والتدرب على آليات عقليات الآخرين يجعل الأمور أكثر سهولة. فإذا بقي للمسلم موجودة في ذهن الآخر فإنه سيبدأ في البحث عن مسائل لاهوتية في [illegible] موقف المسيحي [illegible] لدى المسلمين من كتابه بعد عبارات [illegible] المسيحي [illegible] بعض وصفه [illegible] على [illegible] [illegible] يحتوي على [illegible] الأساسي من ترتيب [illegible] في [illegible] بين المسيحي [illegible] [illegible] الإسلامي [illegible] المسيحية.

وربما كانت هذه [illegible] في [illegible] التي [illegible] [illegible] الإسلام.

ولهذا فضرورة الحوار الحقيقي أن يتوفر كل مشروط في الحوار بين الرسالة الإسلامية وبين المسيحية المشتركة، فالحوار الصحيح الدفاعية يعني الرغبة في فهم معنى هذا الدين من الخروج عنه. كما يحظر معظم الديانات الأخرى على صياغة حجج متعددة، والدفاعات والحجج المستخلصة عند المتشابين أصحاب دين واحد على التعبير بعض، مع أن هذا الشيء يلغي غرضاً من الطرفين المتجادلين.

وفي الحوار مع الإسلام، يجب أن يتحلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً ليس بتلقي الوحي والأفكار السلبية [1].

(١) المسيحيون من الإسلام، ... (ص ٣٢٩ – ٣٣٠).

- ٢ -

عوامل امتياز الإسلام

شهادة المستشرقة الألمانية

سجريد هونكه (١٩١٣-١٩٩٩م)

تأتي هذه الشهادة ضمن الشهادات العلمية المعربة المنصفة للإسلام، فهي للعالمة الجليلة والمستشرقة الألمانية الشهيرة سجريد هونكه، التي ولدت (في ٢٦ من أبريل سنة ١٩١٣م) بمدينة كيل الألمانية، والتي تخرجت في جامعات كيل وفرايبورج وبرلين، والتي تخصصت في الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات.

وقد حصلت سيجريد هونكه على الدكتوراه من جامعة همبولدت في برلين سنة (١٩٣٩م) بأطروحة عنوانها حول تأثير الأنماط العربية في صورة الغرب العربي والأندلسي.

وقامت بتدريس الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والسلوك وعلم الأديان المقارن والفلسفة الإسلامية والأدب وتاريخ العصور الوسطى في كثير من الجامعات.

ثم قدمت هونكه عطاءاتها الفكرية المتميزة التي تجلت في دراستها الإسلامية التي ركزت فيها على الحضارة العربية والإسلامية، ومن هذه الأعمال الفكرية

١ - [illegible] على [illegible] سنة (١٩٦٠م)، وتقع [illegible] ترجمة عربية [illegible] العرب على أوروبا، سنة (١٩٩٤م).

٢ - [illegible] ترجمة لعربية سنة (١٩٨٧م).

٣ - [illegible] (١٩٩٥م).

٤ - [illegible] عربية في [illegible] سنة (١٩٧٦م) عن [illegible] بين العرب و[illegible]

[illegible] سنة (١٩٧٣م) [illegible] وتولت الرئاسة [illegible]

وفي [illegible] الأعلى [illegible] على كثير من [illegible] سنة (١٩٨١م) [illegible] (١٩٨٥م) [illegible] في [illegible] سنة (١٩٨٨م)

وفي هذه الشهادة يؤكد الدكتور [illegible] على

١ - سماحة الإسلام في مقابل التعصب الأعمى [illegible]

[illegible]

٢ - [illegible] للجديد في الإسلام

٣ - والنموذج الإسلامي [illegible] لتحرير المرأة وحريتها

٤ - [illegible]

[illegible] في [illegible] الأمر [illegible]

[illegible] لا [illegible] من [illegible] إلا من

[illegible]

[illegible] لا [illegible] لا [illegible]

٥ - [illegible] الأوروبي [illegible]

من معرفة [illegible] التي [illegible] عظيمة [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible] المعرفة [illegible] هذا

[illegible] الأوروبي [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

٦ - [illegible] الأوروبية [illegible]

[illegible] الإسلام

٧ - [illegible] الإسلامي [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلامي في [illegible]

[illegible] الإسلامية بالإبداع في [illegible]

[illegible] الإسلام

[illegible] الإسلامي [illegible]

الإسلامي [illegible] الإسلامي

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] الأوروبية [illegible]

٨- [illegible] الإسلامي في [illegible]

[illegible] الأوروبي [illegible]

[illegible]

[illegible] الأوروبي [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

الإسلام

[illegible]

[illegible]

٩- [illegible]

العربية [illegible] الإسلامية

[illegible] العربية [illegible]

صور حيانية شيطانية عامة في مرحلة [illegible] دون أن يكون له أدنى معرفة، أو حتى إلمام طفيف صحيح به.

وبعكس ذلك كانت نادرة الوجود شمالي جبال البرانس حتى إنها كانت في الامبراطورية [illegible] بالإسلام [illegible] ذهب رجال الدين [illegible] في طلب العلم والمعرفة [illegible] [illegible] الإنجيل المحرفة وكتابات [illegible] ترتليان (١٦٠، ٢٢٠م) وأوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠م) [illegible] [illegible] الإصلاح [illegible] [illegible] [illegible] من أخطر صور [illegible] [illegible] إلى الملاحقة و[illegible].

* وبسبب غلبة النصرانية في ظل الحكم الإسلامي قرونًا طوالًا في الأندلس وفي صقلية [illegible] في سلطات [illegible] [illegible] على الإسلام في الأندلس سنة (١٤٩٢م) ثم بعد [illegible] سوى طرد المسلمين واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصير واستحداث محاكم التفتيش التي [illegible] كل من [illegible] سوى الكاثوليكية [illegible] وحرق العشرات في حفلات [illegible] [illegible] [illegible] من عنق الإسلام واليهودية.

(١) [illegible] تلك محاكم التفتيش إلا في سنة (١٨٣٤م).

(٢) [illegible] [illegible] [illegible] (٦١٥ - ٦٣٥هـ).

١٢١٨ - ١٢٣٨م) [illegible] صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤ - ٥٨٩هـ / ١١٦٩ - ١١٩٣م) مع القيصر فريدريك الثاني (١١٩٤ - ١٢٥٠م) [illegible] [illegible] وغير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

* [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

* [illegible] [illegible] [illegible] الحروب الصليبية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصليبيين [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في القدس سنة (٦٩٩هـ) على يد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] القدس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] ٥٨ [illegible] ١٠ [illegible] ١١ [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

* [illegible]

[illegible] (٦٢٥هـ [illegible] ١٢٢٨م) [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

(١٢٢١م) [illegible]

[illegible] في [illegible] لا

[illegible]

[illegible] هؤلاء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في كل

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] الرحمن [illegible] [illegible] [illegible] وبناتهم وأخواتهم وزوجاتهم [illegible] من العذاب [illegible] [illegible] أسرهم [illegible] وكذب [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا يستطيعون [illegible] [illegible] تحت رحمتهم لا حول له ولا سلطان.

* وحين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) أبقى كل المستشفى [illegible] من قبل (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م) [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من النصارى [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في تحقيق روح الفروسية [illegible].

[illegible] العكس من [illegible] [illegible] الفروسية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والأسرى فالمنصب ريتشارد قلب الأسد (١١٥٧ - ١١٩٩م) الذي [illegible] ثلاثة آلاف أسير عربي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] بذبحهم جميعا.

* * *

(١) [illegible] ١٩٩٥.

(٢)

الجهاد الاسلامي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] من مكونات الهوية العربية تعبيرا وكتابة وتحبيرا [illegible]
[illegible] الشعر العربية حتى [illegible] وبرز في
[illegible] الشعوب

[illegible] الشعر صوت الحضارة العربية ذات [illegible] في اللغة
[illegible] كما [illegible] الفرنسي
[illegible] الشاعر [illegible] العرب قد
[illegible]

ثم [illegible] الإعجاب بالشعر
العربي [illegible] في عصر [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] إلى العرب الكبير [illegible] صلى الله
عليه وسلم [illegible] إلى [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible]

* * *

٢ [illegible]

(٣)
التحرير الإسلامي للمرأة

* إن الرجل والمرأة في الإسلام يتمتعان بالحقوق نفسها، [illegible] وإن لم تكن تلك الحقوق هي ذاتها في كل المجالات.

وفي الحالات المتزوجة التي يجمع بينها الحب [illegible] بسبب نظر المرأة إلى زوجها نظرة فيها ثقة تقوم على [illegible] وذلك أن كل زوجة تأبى عليها الأحاسيس ولولا أن تعتقد أن ليس [illegible] به نظرها [illegible] وتقدير [illegible] فالعلاقة بينهما تخضع للأحاسيس القائمة على الثقة والخضوع والولاء، ولا تعني تلك [illegible] المرأة [illegible] أن المرأة تخضع بخضوعها هذا دون أن تحط من قدرها، بل إنه يبلغ خضوعها أسمى الدرجات، سواء في عبوديتها لله أو في حبها من تحب. وهذا هو الذي عبر عنه ابن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ/٩٩٤-١٠٦٤م) في كتابه طوق الحمامة حيث يقول: «ومن عجيب ما يقع في الحب من طاعة المحب لمحبوبه... ولقد وطئت بساط الخلفاء، وشاهدت محاضر الملوك، فما رأيت هيبة تعدل هيبة المحب لمحبوبه» [illegible]

* [illegible] المرأة العربية [illegible] من القيود الأجنبي [illegible] في حقبة [illegible] الحجاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

لقد حركت السوفسطائية (القرن الخامس ق.م) [illegible]
[illegible] مع نشأة [illegible] إنه طرح جانب مصداقية
[illegible] في محكمة الارتياب [illegible] [illegible] حيث أن
[illegible] لم [illegible] في [illegible] تكثيف الارتياب مرة
[illegible] [illegible] حدوث

[illegible] حركة [illegible] الإغريق [illegible]
(٤٧٠، ٣٩٩ ق.م) [illegible] (٣٨٣ ٤٤٤ ق.م)
كان يقول أفلاطون (٤٢٧ ٣٤٧ ق.م) [illegible]
في [illegible] [illegible] ثلاثة [illegible] على [illegible]
[illegible] لا [illegible] على [illegible] معرفة، [illegible] لأنه
بالحواس [illegible] الإنسان، إنها لا [illegible] غير [illegible] لشيء
[illegible] في [illegible] على [illegible] [illegible] غير [illegible]
[illegible] مصدر للمعرفة [illegible] غير [illegible]
[illegible] [illegible] المعرفة [illegible] [illegible] بعالم
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] المنتظم والمضطرب [illegible] الحقيقة
[illegible] في [illegible]

[illegible] خلال [illegible] [illegible] ولطبيعة لا [illegible]
[illegible] على المعرفة [illegible] المعرفة [illegible] على [illegible] شيء لأنه
لا [illegible] معايير الإنسان [illegible] لأن الإنسان [illegible] لا [illegible]
[illegible] على المعرفة

(5)

العمل المسيحي الأوربي

[illegible]

ولكن [illegible] يوجد مكتوب [illegible] ويدل أن هذا
[illegible] على العقلاء وأن العبء الموجود في
[illegible] وقد يسمى إلى الحكماء

[illegible] المسيحية القديمة في الإسكندرية وبيزنطة،
في [illegible] في فرنسا وبريطانيا، أدت إلى نقص مروع
[illegible]

[illegible] فصلاً مطلقاً بين الحياة الأخروية
[illegible] الدنيوية الأرضية المختلطة بالنقص، وكل ما كانت
[illegible] من التوفيق [illegible]
[illegible] الروحي والدنيوي، والروح [illegible] والأنثى
فقد [illegible] ذلك من أوغسطين [illegible]

* [illegible] المسيحية [illegible]
[illegible] للإنسان كذلك متوجهة [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible] الحكمة [illegible] ورفض [illegible]
[illegible]

[illegible] الطريق [illegible] الروح [illegible]
[illegible] في مكة [illegible]

خاصا فرق [illegible] تكون [illegible] للاطلاع [illegible]
[illegible] الإنجيل [illegible]
[illegible]

وبعد [illegible] من [illegible]
[illegible] معرفة شكل الأرض وطبيعة
[illegible] وموقع النجوم وطبيعة الحيوانات، [illegible]
[illegible]

[illegible] المسيحية [illegible]
من [illegible] في العالم [illegible] موقع [illegible]
من [illegible] غير [illegible]
[illegible] في بعض الأسباب

[illegible] المسيحية عن العالم (صورته)
كما [illegible] الإنجيل [illegible] من خلالها
[illegible] أوغسطين أو أفلاطون [illegible]
[illegible] لم يكن [illegible]
[illegible] لماذا؟

[illegible] المسيحية [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] من خلال
[illegible] ومن خلال [illegible]

لم يكن بمقدور [illegible] في ظل سيادة الأمية
والأمية [illegible] [illegible] [illegible] المنظور بمختلفة
[illegible] الإنسانية لا [illegible] [illegible] في [illegible] بالفكر
وكل مجهود [illegible] الكشف [illegible] لا [illegible] [illegible]
كان في [illegible] [illegible] بدلا من [illegible] [illegible] على [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] و [illegible] والأجرام [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

* [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] هو صحيح في عصر العقل قد يكون
[illegible] في ظل [illegible]

* [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الله والنفس
في [illegible] الوقت الذي [illegible] فيه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] العقلي
في [illegible] [illegible] [illegible] الأديان الأخرى [illegible] غير [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]

قليلا ما يفكر في [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في الوقت الذي [illegible] فيه [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] على [illegible] [illegible] العلوم الطبيعية انطلاقا من [illegible]
[illegible] على [illegible] في ملكوت السموات والأرض [illegible] [illegible]
العرب [illegible] خلق جديد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] كل [illegible] [illegible] وقد [illegible] [illegible] من الأيام [illegible] [illegible]

[illegible] من المساجد [illegible] كتب [illegible] فعثر عليهم جماعة من [illegible] [illegible] [illegible]

نحن نقرأ [illegible] [illegible] تفسير قوله تعالى:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت﴾ الغاشية ١٧، ١٨

* [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] جديدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] (١٢١٨ - ١٢٢١ هـ) [illegible]

* [illegible] في (٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) [illegible] في [illegible] [illegible] على [illegible]

[illegible] على [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] في [illegible] السحرة الذي [illegible] في [illegible]

* [illegible] (١١٩٣، ١٢٨٠ هـ) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] محمد بن موسى بن شاكر
(٢٥٩هـ ٨٧٣م) وأحمد بن موسى بن شاكر (كان حياً قبل
٢٥٩هـ ٨٧٣م)، والحسن بن موسى بن شاكر (٢٠٠هـ ٨١٥م)
وثابت بن قرة (٢٤٨-٢٨٩هـ ٨٦٢-٩٠١م) [illegible]
[illegible]
[illegible] جهد كبير [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من خلال [illegible]
[illegible]

[illegible] (١٢٢٨م) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لبعض [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] في مدينة [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]

ولا عجب [illegible]

[illegible] حتى سنة ١٩٤٨م [illegible]

[illegible]

[illegible] كل شيء، كل شيء من الله، والله في كل شيء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١٢٢٥ ١٢٧٤م) [illegible]
[illegible] (١٣) [illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible] على [illegible] الله [illegible]

[illegible]

والإسلام لا يعترف [illegible] بالخطيئة الأصلية [illegible]
[illegible] كل شيء [illegible] أن الخطيئة [illegible] لأنه ليس
من القصور التي فطر الإنسان عليها [illegible] لأنه قد يغفر
[illegible] التائب [illegible] توبة نصوحاً، حيث يغفر الذنوب الرحيم
[illegible]

* * *

[illegible]

(٦)

رفض المسيحية للفكر اليوناني

* [illegible] القديس جيروم [illegible] الفكر اليوناني [illegible]
على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] Vulgata ([illegible] اللاتينية [illegible] [illegible]
جيروم [illegible] سنة (٥٤٦م) كلاً من هوميروس وفرجيل
(٧١ - ١٩ ق.م) [illegible] على [illegible]

* [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الإسكندرية [illegible] المعرفة اليونانية [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] تلك [illegible] [illegible] المسيحية
[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المعرفة على
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الأشعار والفلسفة اليونانية والعلوم الإغريقية [illegible] [illegible]
[illegible] من [illegible] [illegible] المسيحي

[illegible] مكتبة الإسكندرية [illegible] [illegible] [illegible]
على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسيحية [illegible]
على [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام

(٧)

العقل الإسلامي

[illegible]

[illegible] ١٦ و١٧ [illegible] والجبر [illegible] وعلم طبقات الأرض وعلم [illegible] وعلم الكلام

* * *

[illegible] لا حصر لها [illegible] دوراً فعالاً في التطور العلمي الأوروبي

[illegible]

* [illegible]

[illegible] ١٥٨، ١٥٩ [illegible] ١٣٣ [illegible]

[illegible]

[illegible]

١ - [illegible]

٢ - [illegible]

٣ - [illegible]

* * *

[illegible] في البلدان الآسيوية وما بين الرافدين

[illegible] العرب [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

***

[illegible] جابر بن حيان ([illegible] ٨١٥م) [illegible]

[illegible] الكيمياء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] جابر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والحساب [illegible]

[illegible]

[illegible]

***

لقد كان جابر بن حيان ([illegible] ٨١٥م) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] كل عيب [illegible] في [illegible]

* وفي الأندلس [illegible] (٣٣٤ - ٤٠٣هـ / ٩٣٦ - ١٠١٣م)، [illegible] في [illegible] على [illegible] التجارب [illegible] [illegible] كان على [illegible] إلى [illegible] العربي [illegible] الاختصاصات الأخرى [illegible]

* [illegible] في الأندلس [illegible] (٤٨١ - ٥٥٧هـ / ١٠٩١ - ١١٦٢م)، [illegible] من خلال [illegible] [illegible]

* [illegible] في [illegible] (١٩) [illegible]

* * *

[illegible] على [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ٣٢٠ - ٤٠٣هـ

٩٣٦ - ١٠١٣م) [illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible] ٣٣٧ - ٣٧١هـ

٩٤٩ - ٩٨٢م) [illegible]

[illegible]

[illegible] ١٢٨.

مهرة، فهم يسعون دائماً إلى تحسين وإجراء تعديلات، ويفكرون في تجديد، ويطورون في أساليب مشاهداتهم وأدوات القياس المختلفة لديهم نحو الكمال، بينما يأخذها الغرب عنهم، ويستعملها على صورتها دون إدخال تعديلات عليها حتى عصر بيكار بنسكوت. وفي هذه الأثناء تحولت المراصد الفلكية إلى منشآت لا غنى عنها، ثم بناؤها من قبل الأمراء الهواة وطلاب العلم، وغالباً ما ارتبطت بأسمائهم. ومن أشهر هذه المراصد، المرصد الذي بناه المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) في بغداد، وفي سامراء وفي دمشق ومرصد العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ ٩٧٥ ـ ٩٩٦م) والحاكم (٣٨٦ ـ ٤١١هـ ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) في القاهرة، ومرصد عضد الدولة (٣٧١-٣٣٧هـ ٩٤٥ ـ ٩٨٢م) في بغداد. ومرصد ملك شاه (٤٦٥ ـ ٤٨٩هـ ١٠٧٣ ـ ١٠٩٢م) في نيسابور، ومرصد اولوغ بيغ في سمرقند».

* «لقد كان البيروني (٣٦٢ ـ ٤٤٠هـ ٩٧٣ ـ ١٠٨٤م) أحد أهم علماء العرب في عصرهم ولقد ذهب في ثلاثة (حيرة) للنقد لعقيدة بطليموس بفكرة مذهب بعيد، بحيث رفض صورة نظام بطليموس الشاملة للشمس الدائرة حول الأرض وفي رأيه أن الشمس ليست هي المسؤولة عن تناوب الليل والنهار، بل الأرض ذاتها التي تدور حول محورها مرة في اليوم، ومرة سنوياً فيها حول الشمس في غد. فقد البيروني بنفسه

وجد مم بمعمد السابه حول فكرة « برحرحة بمقدسه

* « وكنساف لبقع لشمسية عمى بد ابن رشد (٥٢٠ ٥٩٥هـ ١١٢٦ ١١٩٨م) بدى أقدم هو ورميه البطروجي (٥٨٠هـ ١١٨٤م) عمى ح العقده لبطيموسيه وعلى بقديم تفسيرات أخرى لمحسات لكواكب

ومرس بن بحه لأندسي (٥٣٣هـ ١١٣٨م) بأثير ب أشد بالسسه إله، قوب بقوة لديه واحده، وهي دابه، سو ء ميا م بحرب لكو كب، أو سي تحعل تفاحة تسقط من شجرة. وهو لري الدي يحدثه لأردو حيه لبوسابة والدي يؤثر بصفه فبربتا عمى جاليلي (١٥٦٤ ١٦٤٢م) عن طريق بعلاقه سي بعرض وجودها بين القوة سرعة والمقدومه في الأجسام المتحركه »

* بعد أخرى بعلكي بكسر لسرقلي (٤٢٠ ٤٨٠هـ ١٠٢٩ ١٠٨٧م) في طليطلة ما لا يقل عن (٤٠٢) مشاهدة فكان أول من برهن عمى ب بعيير بعد الأرض و لشمس لي اعتبرها ليوسمون نتية ملائمه (بتقدم بقاط تحدث بمل واسها) وقد قام جرهارد كريمون، بترجمه مولف السرقلي هذا إلى بلاتينية وعرف باسم لمؤلف Amzache وفي عام (١٥٣٠م) استشهد كوبرنيكوس (١٤٧٣ ١٥٤٣م) في كتابه لدي بشر بالفرنسيه تحب اسم De Revolution بهد لكتاب، وبكتب نيبي (٢٤٤ ٨٨٥ ٣١٧هـ ١٩٢٩م)



* «ولقد تحدث الطبيب الطبري (كان حياً قبل (٣٦٦هـ ٩٧٦م) عن كرة نحاسية صخمة أثارت إعجابه في عام (٨٥٠م) «أمام مرصد في سامراء شاهدت جهازاً شرف على بنائه عالما الفلك والميكانيكيات الأخوان محمد وأحمد بن موسى، وهو يشبه شكل الكرة ويصور النجوم ورسم البروج، ويعمل بالطاقة المائية، فإذا أفل في السماء القبة نجم، اختفت صورته في نفس اللحظة من الجهاز في الوقت الذي يغيب تحت خط الدائرة التي تمثل خط الرؤية فإذا طلعت في الصفحة صورة نفس الكوكب، شرقت صورته أيضاً على الجهاز فوق خط الأفق»[٢٣]

***

«على أن العامل المساعد الضروري للبحث والتجربة لدى العرب، هو الرياضيات»

لقد رأينا كيف أرسى الخوارزمي الأصول الطبيعية للرياضيات التي تمكن من جميع العمليات الحسابية. لكنه لا تكفي مساهمته بذلك فقط، إنه يضع بين يدي زملائه الباحثين (جهاز يدوي لا غنى عنه الجبر أو علم المعادلات) الذي يسمح بموجب هذا العلم استخراج العدد الصحيح، العدد واحد أو أكثر من المجهولين. وقد نشر كتابه في (٨٢٠م) وهو كتابه الذي دخل به التاريخ

(٢٣) العقيدة والمعرفة (ص١٤٤، ١٤٥، ١٢٨، ١٢٨، ١٤٩، ١٤٧)

* وعلى حين كان علم الحساب عند اليونان يعني تسمية التصرف في الأعداد والسرف الفكري المحض للمولعين بالتأمل المضني للفكري والحسي الرمش بعلم الحساب نحو مرتبة أعلى على يد الكمال ففي كتابه المصباح في علم الحساب قدم النظام بمراتب عددية حرر تشكل من الكمات، وذلك حين استبدل تأول شخص (عدة) الكسور بالخط المرصوف وعمم الحساب بالكسور بعروبة وهو بحر م كان لبائعة البيض أو بائع الحليب ليتوصل إلى نتيجته من دونه في عملية بيوع ولا كل حساب ملوك بتمت ممكنة بدونه كلمات» (٢٤)

* يغرب بين بهينهم ونس سدى بعدد معين هو مدى ست الرؤية، وعلى الأغلب فإن شكل الجسم الملموس يتبع في عين ويستبين بجسمه لسماف».

ويصف وصف دقيق عدسة العين، والملتحمة، والإفرازات، وأعصاب الرؤية التي ترسل نطاقا من الجسد انطباعات الحواس هل تنشأ هنا صورة مصغرة بسيطة طبق الأصل. بين الهيثم لا يجسم المشكلة بهذه السهولة. فيستناد إلى التجارب المحترفة يوصل المدمج إلى الانطباعات الحسية المسقطة في بحثه برهنة أن ستاحات عن بعد وأن شكل الجسم المدرك يرى، ما يدي جعله يتوصل إلى هذه النظرية مضاعفة حول الرؤية وطبيعة الأسماء وإنحرافات الحواس فكونه فلكيا،

(٢٤) عقيدة ومعرفة ص ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٣٢

و عـمادا مـه عـلى مـسـهـد نه كـسف ب سـئر لاحر م اسـماوية
ترسل ضوء د ت بـيـنما القمر وحـده يـستقبل نوره من الشمس.
وبقد فـسر من دلك تصور جـديد عن طبيعة الإشعاع
لضوئيه من كل موضع في الجسم مقابل تحري مسميمه
في كل الاتجاهات وقد برهن على دلك بشيء في كل تجربه
بدقه حسابيه

وفي تجربه لي أجرها فس كل محلات المصرب
بهمسبه، وأخـ إحدى حقوب بدرسه وفي داب لوقت،
وبـيـنما كان لنـاس في أنحاء يبدلون جهدهم. عند الخسوف
بطرد لغول الذي ابتلع القمر، عن طريق لعويل و تصحب
في دلك الوقت، كان الناس على سبر بتساءلون كيف تحدث
ظاهره الخسوف. طالما أن القمر ذاته لا يضيء بل يستقبل
ضوءه من الشمس التي تكبره، وتظهر مع ذلك ظلا محجوب،
جزئيًا أو كليه؛ وعلى القمر كون مصادر سيجدنه. ودرس في
ضوء سد اختلافات الحجرة تبين بكل شيء ممكن أن يكون
مفيد في كتابه «حول طبيعة لظليل» كما أحب أن يسمي
كتابه وقد سجل سبقًا كذلك، حين جرب آلة تصوير ذات
نقب واحد، وهو نموذج لأقدم لة تصوير ذاته على انتشار الأشعة
لضوئيه المستقيم وقلما كان يطمس لي نظره وقدمت به
لعالم مقلوبا من خلال انعكاس الصور، وفي هذا الصدد استخدم
نفس الترتيب الذي لابد وأن كان تصدده ستعمله ليونار دو



دقيقة فيما بعد وقد عثر على تعيين الانكسار للضوء الذي يحدث عن طريق الوسائط كالهواء والماء والزجاج وحسب من بعدهم ارتفاع الغلاف الجوي الأرضي بما مقداره (١٥) كم تقريباً، وهو أمر يدعو إلى الدهشة ويعمل الفكر في تشوه هيئة القمر والشمس وقوس قزح ويبين قياس أرسطوطاليس في إعطاء تفسير فيزيائي لها من ذي قبل وسلط معرفته كذلك على الأجهزة البصرية

لقد مر الكندي (١٨٥ - ٢٦٠هـ - ٧٩٦ - ٨٧٣م) في القرن (٩) بمعرفة البؤرة بتجاربه على المرايا المحرقة، أما ابن الهيثم فقد درس الانعكاس وحسبه في المرايا المحرقة (كروية ومقطع مخروطي)، وعثر على قوانين تأثير الكثافة، ولقد فحص تأثير الاحتراق وتصحيحه بواسطة المرآة المجوفة فقط، بل وبواسطة العدسة المجمعة المكبرة أيضاً، وتذكر كذلك أول عدسة للمصنعة وقد برهن على معرفة الهواء كمنظار ومجرى في التجارب التي أجراها على سير الأشعة داخل كرة، وهي تجارب تبعث على الدهشة بعقلية لا نظير لها كما لدينا - من بعد ثلاثمائة سنة

إن تأثير هؤلاء بمخالفة العرب على العرب تأثير هائل، لقد صعب تطوراته النظرية البصرية على العلوم الأوروبية حتى العصر الحديث، وعلى العلوم البصرية لابن الهيثم قامت كل تطورات الإنجليزي روجر بيكون (١٢١١ - ١٢٩٤م)

حتى بولوب (فنلو) والإيطالي ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ١٥١٩م) وحتى يومنا هذا. صارت المسألة الفيزيائية الحسابية المعقدة التي حلها ابن الهيثم المعقدة من الدرجة الرابعة، والتي تقتضي مقدرة الكرى في تحبر على النحو الآتي تقريبا: حسب نقطة في مرآة بها شكل فيه يُعكس عليها جسم من مسافة محددة في صورة معينة. عرفت تلك المسألة. تسمى باسمه (مسألة الحازم) "

***

* "ن مؤلف ابن سينا في السعادة وهو الذي ذاع صيته كطبيب ورياضي وفيلسوف كان مصدر رئيسا للتكنولوجيا لأوروبا حتى القرن (١٨)"

* "و شغف العربي لدى أحب الحوال. قد أتحف قبل ماركوبولو (١٢٥٤ ١٣٢٣م) عددا لا يحصى من الجغرافيين. منهم الإدريسي (٤٩٣ ٥٦١هـ ١١٠٠ ١١٦٦م) من سبتة الذي وصل إلى سواحل إنجلترا الغربية والبحر الأسود في القرن (١٢). وصنف في بالرمو قيصا من الملاحظات ومخططات الخرائط والمقتبسات الحسابية في مؤلف جامع يقع في سبعين خريطة، استغرق إعداده خمس عشرة سنة، كان يشبه ككرة على الأرض ويجري تقسيمها وفي عام (١١٥٤م) قدم لملك النورمان في صقلية خريطة للأرض بقرص أصبحت من بعد شهيرة. حدث ذلك فيما

كانت خرائط العالم في دوره أوروبا توضع بحسب الإنجيل، يطوف فيها البحر المحيط، ويقع الجنة في منتصفها.

والمسعودي (٣٣٤هـ ٩٣٦م) من بغداد لدى حملته مسائل علمية جديدة على القدم برحلته الاسكندرية. ولدى كتب سندباد البحري مشاهدات جديدة في بلاد الصين وسيلان وحتى سبب موسوعة في ملابس محمد ارفقها بوصف للأرض، وبوصف مصور صحيح لعادات الشعوب

وابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٨٠هـ ١٣٠٤ ١٣٧٨م) الذي استمرت رحلته مدة أربعا وعشرين سنة كشف فيها شمالي ووسط أفريقيا حتى البحر، وسيبيريا الصغرى والصين، وروسيا، وإسبانيا ٢٥.

***

* لقد أصبحت المصادر الإغريقية العربية هي أنف ... لعلم وارتفع الاسم العربي في ذلك الوقت الى درجة أنه لكي يفسح الأطباء والكيمائيون والصيادلة والفلاسفة الطريق أمام ساحتهم للفكري في الأوساط المتخصصة، كانوا يطبعون بالاسم العربي للاتيني لابن سينا ومسويه لابن و جابر؛ بحيث تعمل على شد اهتمام المتخصصين، ولقد ظلت الكتب المدرسية ككتاب القانون لابن سينا من المواد المدرسية الراسخة في الجامعات الأوروبية حتى النصف الثاني من القرن (١٧)

٢٥ العقيدة ومعرفته ص١٤٠ ١٤٢ ١٥١ ١٥٠

* ومن يدري ما إذا كان كولومبس (١٤٥١ - ١٥٠٦م) قد عمد في مغامرته على الخريطة العربية الأقصى في نظره؟.

* إن العرب سبق واستعملوا البوصلة بالسفينة في البحر الواسع وأقدم وثيقة في هذا الصدد ترجع إلى سنة (٨٥٤م)

إذ أصبح قليل حديث الشرود بحيث لم يستدل بنجم على الاتجاه. غرست إبرة في قشة أو شظية خشب، ووضعت فوق صفحة الماء، وحركت بواسطة حجر مغناطيسي نحو اليمين بحيث أنها تتجه لدى إفلاتها إلى الشمال. إلى وضع يظهر الشمال والجنوب. وقد جرت العادة في المحيط الهندي على أن يستبدل بالإبرة ورقة قطعة من الصفيح لها شكل السمكة تظهر بالرأس والذنب إثر توجيه وهي مدفوعة باتجاه الشمال.

* وفي الكتب العربية وجود أسلحة متفجرة للبارود متحركة المحترقة، التي تخرج منها دمدمة مثل الرعود.

وقد استخدمها العرب في إسقاط صاحب المدن مدينة بوشيح (١٢٤٩م)، وكانت المدن تصبح كلما اتصلت قذيفة غريبة تمسح، حتى ما وقوعها. وفي سنوات (١٣٢٥م و١٣٣١م و١٣٤٢م) استعمل العرب مدافع البارود في إسبانيا للمكنو من نقل جيوش الشمال الإسباني المدعمة من قبل الفرنسيين والإنجليز.

* ولقد كانت المعاهد العربية مراكز تعليمية، ومؤسسات مغلقة مقسمة إلى أربع كليات، وعلى رأس كل واحدة منها عميد، ولكل كلية عدد متماثل من الطلبة هو (٧٢)، وهناك (٨٢)، ومن المسموح للمدرسة بثلاث حصص للدراسة بلا مقابل مادي وكان المدرسون يتقاضون مكافآت من الخلفاء أو الموقوفين، هذا في الوقت الذي كان يتقاضى فيه كل طالب دينار واحد في الشهر بالإضافة إلى الفروسية اللازمة

وكان الطلاب الوافدون من جميع الجهات، والمنتمون على الغالب إلى ديانات مختلفة، يكونون أربع فئات قومية في مساكن منفصل بعضها عن البعض الآخر

وفي مدارس الأندلس، سمح أيضا للفرنجة بالدراسة وصممت الأبنية المشيدة على شكل مربعات ملائمة بها حديقة، وحدائق وفضلا عن ذلك فقد كانت تحتوي على عدة قاعات للمحاضرات وصالات للعمل ومكتبة كبرى. وبها تلحق هذه وهذه المعاهد خاصة ويسمح لعميد المرسح بعد إجراء امتحان له إجازة في التعليم وبذلك يحصلون على البكالوريا كلمة عربية أدخلت إلى اللاتينية على أنها برؤى مخولين من السلطة لمعلم شخص حر

والحقيقة أن كلمة البكالوريا هذه لم تكن سوى مسخة عن العربية الأصل"

* «لقد أرسل فريدريك الأول ملك بروسيا (١٦٥٧ - ١٧١٣م) جورج دوف كريموت إلى صقلية وحلب لمحاورين الصليبيين والحجاج الحرب والمعارف العلمية، والتحف التذكارية المفيدة والأجهزة والمسودات عبر جبل الأسر المسحات الوفيرة عقول عسكريين لمقويي العرب وكذلك الشعب وأجهزة الفاسات من جميع الأنواع والمرقعات والموردات اللطيفة، والعدسات والعدسات الكبيرة وغيرها من البصريات فضلا عن المناظر الفلكية والمعدات الطبية. والمعدات المساعدة للكيمياء التطبيقية هي هبة في تحت قرية مواد وفيرة للبحث لا يمكن تجاهلها. وقدمت محصلات ووسائل بصورة واضحة دفع مؤلف جديد، وتركت تأثيرا مريحا في جيل جديد. فأقبل الأوروبيون بحماس على المواد العلمية الجديدة. وأصبح لزاما عليهم أن لا يملي عليهم الأمور من فوق إملاء. لقد حدث تبادل بين العقلية القادمة من العالم الآخر العربي، استعداد داخلي. وهنا وهناك فقط وجدت التربة الموائمة المناسبة للمشروع»

* «لقد هاجرت قواس المساجد الإسلامية إلى الكنائس القوطية في شارتر وريمس وكولونيا وستراسبورج»

* ومن أكبر نجاحات العرب في حقل الكيمياء شهادات عدد لا يحصى من المصطلحات المستعملة حتى وقتنا الحاضر، انتقلت إلى لغات أهل الأرض من المفردات العربية وعلى

راسهم ذاتي كلمة كيمياء والأمبيق، والكحول والبورق، والبوركس، ودروجري، والكسير، والقاليوم والطرون، والصودا، والكلكرم، والشلاف الخ

وتعطل منهجهم العلمية طوروا مستندا إلى رأي المؤرخ الإنجليزي كاستوم Custom كيمياء حتى هذا المستوى، بحيث إن الكشوف الكيمياء العصوبة كانت مضطرة أن تعدها إلى المستوى الذي رفعها فيه العرب "

* لقد أثرت العلوم التجريبية العربية تأثيرا شديدا من مجرد نوع سواء الانطلاق لحظة حضرة للعقل الأوروبي.

لقد أمدت الاستعداد الموجود في العرب بمادة ممتعة للمعرفة، وبفطن الاستعدادات العقلية التي كانت تعطى في سبات عميق وأضمت اعمال للقوى التي كانت الأمم مجهولة، ووضعت التطور العلمي العقلي لأوروبا في المسار الصحيح "

***

٢٠ العقيدة والمعرفة ص١٨٥، ١٤٩، ١٧٣، ٢٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٣، ١٩٦.

(٨)

انتصار الفكر الاوروبى على النظرة اليونانية والمسيحية للطبيعة

* وبعد قرون من ستقلب في ردراء نضيعه. و لسرح في وهده لإحسس ملدس. ىدأت رهصت لإعحب. وبعحت لأرهير في اسعر ، لا مؤدبه بشعس لعصداء بالإعحب من معحر ب نُحبق وفى سفتح نصدق من مروصة لإلهبة سديه وبعن أحسلهم من بحده ىدى فرىد ربك روسرح وفرانسيسكو فو ب زبري وعبرهم كنبرون كمه سلوب لكىابه بدى بفلاسفة سبن شسو عن ربوحيه مبدأ احب هي لأحرى في لتفتح و لفرحاء. وبحوب ريوحبه ىى قىوة، زصرفت مؤلفانه دن ورب كبيه

* بعد أصلو ، دبهرد قوب ب ت (١٠٩٠ ، ١١٦٠ م) رقر ب من عمقه بعد رحلة في العلم لإسلامي وعودته لي وصنه مرستون فكتب في رسلة رأسته إلي طبيعة) مقرب بين موقفس من نطبيعة

"يس ب بهوب وقصرب فى بفهم سر هد بكب بر ئعة. وحماله وجلاله لبديع لحكيم، وبحن بعيش فيه، فإنما سيحق كل لاستحقاق ن نطرد منه طرد لأننا نكون أشبه بضيف احهل حرمة لبيب وكرمه لدي حده به لمضيف

لقد سمح لي أن أتعلم منك من الأساتذة العرب الحكماء عن الأسانيد بتعقل. ثم أنت فإنك تسمع صوره فرصتها عبيث هيمنة مسنده كانت معيد إلي رسل مرحود محمودث.. لا فلتعلمن أن لماسيه لسي بة حد بأرضه إلى أنه وجهة. نحن لا تستطيع أن نمر و ستنين بي أين ولماذا تُقاد، ولا نمتلك إلا أن نبيع أمرها لدي موثقيها. كذلك فإن «سلطة المؤلف» تعود عندنا لسن بابيسير مكم فاسم أسره لمكتوب مقادير له كالموت سرعة تصدقكم لحبواسه»

* «وبعد عمر «سقولاس قوب كويس (١٤٠١ ١٤٦٤م) عمي رقص وتعويض كمن الصورة لموسبة و إيحائية سطيعة العالم. تلك التي كانت سائدة ومصونه من غير نقاش. والتي أعارهم الناس دهم مد ألفي سنه. لقد أزاح نقدره عن العالم لدي كل سطر أيه على أنه شرير وصيع مموت مدعه للإدراء و التشتت. وحتى الموت و لقضاء لم يعود مؤشرين عمي لنقص رسم بعد الأرض أحد و سفر نقطه في ند عن المسيوك المعالي. لقد أزاح «نيقولاس قوب كويس» هذا الركام عن العالم لدى حركة نيوسيوب و الإنجيل إلى شدرت، وتلقفه بسبب المعرب في تلك الصورة عن طريقة لتعميم التكنسي»

* وبالنسبة ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ١٥١٩م) فمن أي معنى ترى بهم هذا المفكر تقف السطر المتعدد المواهب بشكل حدث عالمي».

ن طبعه لديه نبسط للربوبيه لتي تسع لكل شيء وهي في كل شيء أيضاً، إن هذه هو صيغه سائر الأشياء، وتفضيل لحضور الإلهي هذا فقد أضحى ذلك ممكناً للإنسان أيضاً لا وهو التعرف على لصنعة الإلهية لحية..

وفي لبصريات، كما في لرياضيات سند ليوناردو دافنشي على لمؤلفات لعربيه لشهيرة لابن الهيثم لموجوده في فلورنسا وعلى نظريته في لانعكاس لضوئي، وتجاربه على عدسة لعين و لعدسات لمكبرة، ولكاميرا ذات لثقب

وفي علم طبقات لأرض كان لعلماء لمسلمين قد سبقوه إلى كشف تشكل لتربة، ولم يتوقف عند لتجربة وحدها، بل عبر عن أسس لكل معرفه يجب أن تنطلق من لتجربة لكي تتقصى لقانون.

ورفض كذلك القول بنفاهة لعالم وعزله لحلول الأبدية.

* «ولقد كان كل من جاليلي (١٥٦٤-١٦٤٢م)، وبلانك (١٨٥٨-١٩٤٧م) على دراية بأن نكون بتجاوز وبلا حدود قوة إدراك لطرف ليه وفهمنا له

ولحديث للعون لرائع لذي قدمه لمنطق لمكي، فقد درس جاليلي لإخوة لذاتية لعالم بحيث رياضي لمفيد للاحساس بالحساب الرياضي للحقيقه، وبالاستعداء على كل تحديد للجوهر

أن لمتعرف عليه هو حقيقه، يقوم على لمنطق لذي لا يمس إلى إدركه لله ولعلم الطبيعي هنا على درايه بحدوده

وبالاعتراف بحدود التعرف لبشري هد وتعود فكرة (بحهل

لدري) للفيلسوف «اربوحب ، و«كوسو»، على عر ر حدث

حدود معرفة لعقل لفيلسوف «كنت» (١٧٤٢ ١٨٠٤م)

و«حوله» (١٧٤٩ ١٨٣٢م) وسمعرفه حول محدوديه

لحقيقه. يطوق العقل بالاوروبي وفي كل أرجاء بنفس ىكي

يعرف معا لى الوجود يحقيقي لسيء بمي ء من سبيل الى

معرفه الى اكتشفه . فيه . امنصمن في كل ما يسمى معرفه

إن سكسف الطبيعه ثم يعد ىالنسبه للإنسان الأوروبي

الموجه توحيدا وكلية (شمولية) ممد رمن بعيد عقبه سبيلا

بالاعتراف عن الله إلا بالاعتراف وبم وعي لدوام طريقها

نحو م هو مجهول، نحو لربوبية

ومن لمعروف، مما يتفق تماما مع توجيهات للاشت

وأستايي (١٨٧٩ ١٩٥٥م) قبيل وفاته بوقت قصير

انه لإحساس الأعمق والأروع، لدي نحن عبيه قادرون

منه وحده ينبت لعلم الصحيح، ومن كد هد الإحساس غريب

عنه، هو الذي لا يستطيع بعد أن يعجب، وأن يفرط في حبته،

فهو لدي يُعد ميتا روحيا: ند ولمعرفه أن يوجد تحقق ما هو

غير مكتشف، وأن يتجلى بصفته أسمى حقيقة وأسطع جمالا

لشيئين بلدين لا يتسنى لنا فهمها سوى عبر صبي وهده

لمعرفة وهد نعمه هما جوهر تدين لحق

* «إن نصيحة، بدى حاليلي، ليست قابلة للتجربة. تعرف للحساب فقط، بل هي نص قبله للاستعمال، وللتسيير وللإفادة

إن كتاب الطبيعة الذي هو في ذات الوقت كلمة الله دون تعبير وبسط للألوهية، مكتوب بحروف رياضية. وفي سائر صورة شخصي مرسومة توضح صورها وسدها إدراكا. وبنظام الرياضي السائد. الذي يرى الباحث الطبيعي نفسه ملزما بقراءته»

* «وقد قال «جوردانو برونو» (١٥٤٨ ١٦٠٠م) الذي عومل كمنشق عن المسيحية وملحد وبدى قضى سبع سنوات في السجون بعد الحكم بمحاكم تفتيش الصدق

إن نبحث عن الله في القانون الطبيعي الثابت عبر المستقر وفي الوحدات المفعمة بالحيوية، ونبحث عنه في سطوع الشمس، وفي جمال الأشياء التي تنطلق من حضن معاناة الأم لأبنائها، وفي هالة النجوم (الطبيعة) التي لا تحصى، التي تتلألأ في حاسمة السماء ولا تغيب»

* وقد اعتبر «روجر بيكون» (١٢١١ ١٢٩٤م) دراسة اللغات اليونانية والعربية والعبرية أمر لا مناص منه من أجل تفهم أفضل للإنجيل المعلوم. ومن أجل دلالة الملفظ ومترجمات أرسطو طاليس وسائر علماء المسلمين، واعتبر رؤساء الصائفة

مر بمعي لملحد امبردي للسلطات بمقدسة عشر سنوات من أكسفورد إلى باريس وصدر عليه حكم باسجن سنه (١٢٧٨م) ثم بالسجن امؤبد، إلى أن حرره الموت سنه (١٢٩٤م)، بعد خمس عشرة سنة قضاها في السجن

* «أما سيجر» من برباست لدى رفع رايه بن رشد (٥٢٠ ٥٩٥هـ ١١٢٦ ١١٩٨م) في الحقيقه بمزدوجة ولدى بصدى للحكم اصدر ضده بشجاعه، و ستجد بالباب، فقد قضي الـ(١٥) سنه بمتبقية من عمره في سجن ليبا، ومات فيه محبوس

* «إن كبلر» (١٥٧١ ١٦٣٠م) هو شخص بدي كان بمتبت الحربه لنفسيه و لشجاعة للإصلاح بالعقيده ليبوسة لأرسطية حول مسار لنجوم الدائري الذي أدى الى إعاقة شديدة على الحر ى الإطاحة بدي اقترب به لمفكرون بعرب في لقرن (١١)»

* «وبه لم الخطأ بكلمات الفيلسوف المناب كانت» (١٧٤٢ ١٨٠٤م) سوء حكم عام أن بعتقد بأن العلم الطبيعي اعتمد، كشرط أو نتيجة محتمة، إطلاق المادة، ومكة الحياة لإنسانيه، ووداع لله من هذا لعالم وداع لا لقاء بعده» إذ على عكس. فقد كان ممكنا فوق أرضيه حكمة دينية حديثة لحقيقة لموقف وتحدد موقف من لماده تبرع به الشواب لتي ما زلت عالقة بها من قبل «توما لأكويني» (١٢٢٥

١٢٧٤م)، ولم يرتفع بها إلى مرتبة برهان نهائي مطوّر، مدرك. يمكن التعرف إليه كمسبب لكل ما هو صغير وكبير لكل ما فيه حياة وما ليس فيه. ولكن القوى المؤثرة الموجودة في الطبيعة والنظام الدقيق وهذه الوحدة الداخلية ستكون كلها هي التوصية الأصلية لكل معرفة علمية في الفهم الأوروبي

*يقول «ماكس بورن» (١٨٨٢ - ١٩٤٦م):

«إن الفيزياء الحديثة تقودنا بالضرورة إلى الله، ولا تبعدنا عنه. ولم يكن أي مخترع للإلحاد عالماً طبيعياً، إن كانوا جميعاً فلاسفة، بل كانوا معتدلين جداً».

*ويقول «ألبرت أينشتاين» (١٨٧٩ - ١٩٥٥م):

«على كل باحث طبيعي متعمق أن يكون على معرفة من نوع ما من شعور ديني، لأنه قد لا يستطيع أن يتصور بأن كل الصلات الدقيقة البادرة التي يحثها قد صدرت عنه بذي الأمر. ففي الكون الذي يحيط بنا تتجلى فيهم بأن تعبير حدود. إن تصور المجرى القائل بأني ملحد ينطوي على خطأ جسيم، من يستخلصه من نظرياتي العلمية، فقلما يكون قد أدرك غاياتها

*وعد العالم الألماني «هيزنبرج» (١٩٠١ - ١٩٧٦م)

الله ... في ... عرض ... في مركزه ... سير الأشياء، وكل ... ... في ظواهر ... الملموسة ... الإنسان من ... قربه،

والذي لا يمكنه لست في حقيقتها هـ كمن لنطق بين لعقيده و لمعرفه

لقد كتب هيرسرج، أحد ب لنقسم لمردوج، حسب نصر أرسطوطيسي كان نحو خصيبه سيطيه انه يؤدي من خلال لتكر المتصل لي لعوص فقط، غير أن لإمكانيه ثابتة لي يرث الى لسطح بوسطه سطريه لتكسيه الكمة، يمكن أن تكون مغمره، وأن سعد باسكر في حيز العلم لحقيقي

* "إن معلم لطبيعي لاأوروبي كان ممكنا فقط على رصيه إيجاد نفسير ذيني حر للطبيعة، وعلى مفهوم لإلهي لمعرى لمادة سي لـ كمن نقول يوما لأكويني عنها بانها مصانه نكل ما يحصر على لب من شوب من هي سامه للاتساط الإلهي لمنصور، لمحسوس، لذي نحقق وحدته وستحم في شي شور وتحسم وتجمع تتحد نطلاقا منه لموحد" [٢]

***

* "إنه حديقه لاعتقاد بان في مقدور لعلم معرفة كل شيء، ونظرته للحقيقه على أنها الكل في كل ولمدت قبل الحقيقه كلها وجميعها، ما يعرف بيه هو، ويمكن صنعها بالنسبه كملة، هي تلك لمحاولات والعمر وتعدم العلة ولامل،

---

(٢) لعقيده و لمعرفه ص ٦٠ ٨٦ ٨٧ ٧٤ ٢٠٨ ٢١١ ٢٤٩ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٣١ ٢٢٥ ٢١٧ ١٠٨ ١٧٩ ١٩٣ ٢١٩ ٢٣٢ ٢٣٣، ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٠١ ٢٤٠ ٢٠٦

و لاستسلام و لعدو نيه، و لمعـ.ق. و لعنف اليومي. كلها حميعا من حرب ة تمت الحديعة.

ان عكر انسابي نفسه لا يصبح سه وقعه إلا إذ تو حد في صوء اللامتـاهي ، إن عقلو لا يدرك دائما سرى حرء من لحقيقة ولصورة علميه وإن كاسـ مصيبه حقا، فإنه مع ذلك صوره معويه لا تصرف سطر فقط عن الوعيات و صلات د ـ لصفه عبر لسبيه كـعرف لي محدة واموت لـديه او عد مهـ . حل وعن لإلمام بالشروط مسقة احصة بها

وحيث إنه لا بعده حول هذه لأمور دومـ إلا بعض وجوه احقيقة مكنية بحسب موقع مشاهد، ووفق سؤ له، للسبب الاتي فقط لأنه كسيجه شوير لمجالات احصة دومـ ، فقد نقى على قراءات عريضة تحتملها، وحتى ما قدم منها بشكل عير مـشر دو تنوير

عد ملك صوء، بحيث إن ما كان قبلا سلإدرك ر صيب للحقيقة الموضوعة. فدم عن لعـم صوره واهية صحله، يستلزم بالضرورة فهما غريبًا. في سائر مناحي الحياة

لقد صر اي العقل مشة لالة لوحيدة لي يحتاج لإنسان فيها، و مناسبة له ستديد ما يفعل ويترك، وبلتعف على لمستجدات تكنولوجية لاحده في تعقيد.

انه الأسر في نص المفكر لشاني نعدسو. ستطار لإنسان في حسب منطوقه، هو الذي أخذ في عمر لازمه. وفي شهادة

ونولرن لذي يعيشه نشأ في لأصل عن شئ عنف لطاعة التي حدث في لنر تدر صد لإله لمسيحي لذي أصبح غير جدير بالاعتقاد، كما شخص «بيتشه» (١٨٤٤ - ١٩٠٠م)، دعث من خلال مستنقعات لاحرق، لتي حرزت من فيمها كذلك من لدن المتنورين، والآن يحقق معه لشيئية من كل سكل [٢٨]

***

٢٨) معقيدا و معرفه ص ٢٤٦ ٢٤٨ ٢٤٥

(٩)

اصول النهوض الاسلامي

* «عندما تحررت البلاد العربية من نير الاستعمار لدى جسم
وثيقة قرون ألقت بنفسها على خلافها تواجه معضلات
العصر الحديث وحدث تسلك سبلاً مختلفة كي تشق طريقها
إلى العالم الحديث لتصنع لنفسها مكاناً فيه. والأخذ بأسلوب
حياة المستعمرين وحضارتهم مثقفة، و[illegible] يحتذون سيرة السادة
الأجانب وحياتهم [illegible] وطريقتهم في الملبس والتفكير.
وعاداتهم. ولم تحقق المراد من التجارب مادية ومثل خلافية وهكذا
يتوربون كالأوربيين ويتأمركون كالأمريكيين، ويتروسون
كالروسيين

على [illegible] هذا الخطر الحديث، الذي بات يهدد الاستقلال
الحقيقي بعد التحرر الخارجي، تداعت القوى على خلاف
تجاربها في المعاهد في ماضيها مع الاستعمار وشدة عتوها
وعلت رفضها أن تكون مجرد تقليد أعمى للمدنية الحديثة
الغربية

إن تلك «الأصول» و«الجذور» التي ينبغي على العالم العربي
أن يحددها ويتعهدها حتى يشق طريقه إلى الأمام». والتي ذكرتها
في كثير من محاضراتي في المغرب العربي كله، هي

١ - اللغة العربية: فهي المصدر الرئيسي أو العامل الفكر
الذاتي للمغرب

٢ - تبني مضمنه المحور الذي تدور حوله وجودهم، في كل ما يتعلق بأمورهم وتعني تدلت الإسلام التي من العصر عمر الإسلامية المنفتح على عالم الذي لا يعرض التطور العقلي

٣ - وعودة الوعي، والرجوع إلى الهوية الذاتية التي تتصب

التقلب عن الماضي الفكري المعقول بحب الأفضل تماماً، واستيعاب سياسات سنوية، وكلمة وكهانة لم تظهره وتدبره، والخروج بالعمر والدروس اللازمة للانطلاق للمستقبل، فتعرف تطلقوا من قبل أنفسهم في بيئته وكثير ذلك وسط حضارات تفوقهم فهم يترددون في الاحتكاك وتثبت لعرفاء ورؤوس وصوروا مصيبهم، دون أن يحتكر محكد عنها ثم وصل فوقه البناء بطريقتهم الخاصة وبالوسائل التي أتاحها بهم سوعهم للمعبر وصاحب هم بتصويرهم لأساليبهم بتعة منهم، وهكذا عدوا أكفاء لتحليل النتائج فكري جديد قيم من المرحلة الأولى، منه بينهم

فانتقلوا من الماضي لبناء المستقبل حق معروض ورفض عمق التقوقع والانغلاق وعلو الانفتاح المطلق بلا قيد ولا شرط، المؤدي إلى الاغتراب هو شرط للتحدث من الانحياز بجهة واحدة الأمر الذي يتهدد الحياة

لقد أعقب المرحلة الأولى التي تمت الاستقلال، والتي

الشمس على جميع المسيريات بعدها لأسباب معرفية أو أيديولوجية أوروبية قوية لها انعكاس المسيرة. وسرعان ما تمخض ذلك عن عدم الثقة بكل ما هو غربي دخيل، ورفضه، والتخلص منه في المدى المعروف. وقد ارتبط بإحياء الإسلام والرجوع إليه.

إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً بعقولهم بلا تحجر ودون أن يسمح للأحكام الخاصة بأن تلطخه بالسواد، ولما ... هذه المعتقدات التاريخية الآثمة في حقه وتجاهل البحث به فإن علينا أن نعمل هذا التبرئة والتصديق مع ضمان حقه في أن يكون كما هو».

***

* الله ليس كذلك (ص ٩٥، ٩٦، ١٠١).




- ٣ -
أسباب
انتشار الإسلام

مقدمة

لقد صدق الله العظيم، عندما قال في قرآنه الكريم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (آل عمران: ١١٣) لتعميم سنن عدالته التي تكشف الفروق والمميزات في مواقف الآخرين، والتي لا تعمم الأحكام فتظلم المنصفين والمجتهدين عندما تضعهم في سلة واحدة مع المغرضين والمسرفين.

فالغرب ليس كتلة واحدة صماء، وهو لا يمكن حصره في المشروع الهيمنة الإمبريالية، والاحتلال والاستغلال، الذي نصب للإسلام العداء منذ ظهور الإسلام، ولا يزال ينصبه العداء حتى هذه اللحظات، والذي حاول ويحاول، طول ذلك التاريخ، إعادة اختطاف الشرق من الإسلام وأمته وحضارته.

ورغم أن صناعة القرارات، والممارسات التي عانى منها الشرق الإسلامي، ولا يزال يعاني منها حتى الآن، هي بيد قوى الهيمنة الغربية وتوجهاتها الفكرية والدينية، وبيد المؤسسات السياسية والاقتصادية والإعلامية والكنسية المعبرة عن هذه القوى والتوجهات تلك التي تمسخ وتشوه صورة الشرق الإسلامي في عقول ووجدانات جماهير الشعوب الغربية ذاتها، تبريرًا لمشاريع الهيمنة الإمبريالية على الشرق في وسط هذه الجماهير، وصولًا إلى كسب تأييد هذه الجماهير لمقاصد الإمبريالية الغربية في إعادة اختطاف الشرق وحرمان أهله من حقهم الفطري في الحرية والاستقلال وتقرير المصير

رغم هذه الحقيقة التي قامت عليها الشواهد الكثيرة
إلا أن العدالة والإنصاف يدعوان إلى إبراز الوجه المشرق
للغرب الحضاري . والذي تمثل في العلماء الغربيين ، الذين
عبروا عن حقيقة الإنسان الغربي ، وموضوعية العلم الغربي
وأنصع ما في الثقافة الغربية عندما درسوا الإسلام وحضارته
دراسة العلماء المجتهدين ، فأنصفوه وشهدوا له شهادات
صدق ، تعلم منها نحن المسلمين وقدمها للإنسان
الغربي الذي ضلله الإعلام الغوغائي عندما شحن عقله
ووجدانه « بثقافة الكراهية السوداء » للإسلام والمسلمين
فليس لهذا الإنسان الغربي إلا أن ندعوه إلى كلمة سواء
إلى أن يقرأ شهادات هؤلاء العلماء الغربيين العدول ، العلمية
والموضوعية التي أنصفت الإسلام وأمته وحضارته
وإذا كان استقصاء هذه الشهادات الغربية يحتاج إلى
العديد من المجلدات ، فإننا نقف في هذا المقام عند
شهادات نفر متميز من العلماء الغربيين الذين يمثلون عمداً
من أعمدة الثقافة الغربية . وحجة في دراسة الحضارة العربية
والإسلامية جميعاً والذين كتبوا في الإسلام دراسات نتعلم
منها علماء الإسلام أنفسهم وهي دراسات حرى أن نتعلم
منها الغربيون قبل المسلمين

شهادة العلامة
سير توماس أرنولد
(١٨٦٤ ١٩٣٠م)

يجيء في مقدمة العلماء الغربيين العالم الإنجليزي سير توماس أرنولد (١٨٦٤ ١٩٣٠م) Arnoled, Sir Thomas صاحب الكتاب الغربي الذي درس مسيرة وسيرة الإسلام في العالم عبر التاريخ كتاب (الدعوة إلى الإسلام)

وعن هذا العالم الحجة، يقول المستشرق الإنجليزي البروفسور ألفريد جيوم Alfred Guillame رئيس دائرة الشرق الأدنى والأوسط لمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن

"إنه من أعاظم المستشرقين البريطانيين، تعلم في كمبردج، وقضى عدة سنوات (١٨٨٨ ١٨٩٨م) في الهند أستاذا للفلسفة في كلية عليكره الإسلامية وأستاذا للفلسفة في لاهور (١٨٩٨ ١٩٠٤م) ومساعدا لأمين مكتبة ديوان الهند (١٩٠٤ ١٩٠٩م) وهو أول من جلس على منبر الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن سنة (١٩٠٤م)، ثم اختير عميدا لها

ولقد ذاع صيته بكتابه «الدعوة إلى الإسلام» لندن سنة (١٨٩٦م) و«الخلافة Caliphate» أكسفورد سنة (١٩٢٤م). كما كتب دراسته الإجمالية عن الإسلام بعنوان العقيدة الإسلامية «The Islamic Faith» وكتابه العظيم عن التصوير في الإسلام «Painting in Islam» وهو صاحب فكرة كتاب «تراث الإسلام» والمشرف على تنسيقه وإخراجه.

وقد كتب مقالات بالمعنيين العربية والفارسية إلى جانب إلمامه بمعظم اللغات الأوروبية مما كان لمفاتيح عالم العصور الوسطى وعالم العصر الحديث.

وقد حفت كتاباته من أية أغلاط، وحتى الهفوات لاحظها عليها المتخصصون من العربيين والمسلمين [٢٩]

وإذا كانت هذه هي مكانة «الشاهد» سير توماس أرنولد فيكفي لي الإشارة إلى مكانة شهادته كتابه الدعوة إلى الإسلام لدى تقدمه منه شهادته للإسلام أن يقول فيه المستشرق الإنجليزي «ر. ا. نيكلسون» (١٨٦٨ - ١٩٤٥م) (R A Nicholson)

---

٢٩ ر. نيكلسون تراث الإسلام (ص١٩٨)، ترجمة جرجيس فتح الله طبعة بيروت سنة (١٩٧٢م)، ومقدمة طبعة ثالثة لكتاب الدعوة إلى الإسلام ص١٥ - ١٧ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

«إنه كتاب يفوق حد الوصف من كل ناحية، وهو مؤلف لا يمكن الاستغناء عنه. ويعد حجة ثابتة، وهو من وجه إلى آخر، برغم طابعه التبشيري ومنهجه العلمي، إنما هو حجة أرنولد أقامها على الجور والتعصب، وإن آراءه في الحملة جميعها لا تؤثر حتى في هؤلاء الذين قد يظنون أن هذا الكتاب مصدر خطر عظيم بشروق نوع الحماسة في نشر الدعوة الإسلامية ونتائجها، تركبت صفحة قاطعة مظهر من نشاط هذه الدعوة الإسلامية لم يحسبوا له حسابا. كما فعل أرنولد، إنه يستولي علينا الدهش كيف استطاع أرنولد أن يجمع وينقد هذا القدر الهائل من المواد المتنوعة التي تتعلق بالكتب والمراجع التي استخدمها في الطبعة الأولى من كتاب «الدعوة إلى الإسلام». وإن نظرة واحدة في المراجع التي اعتمد عليها المؤلف، تكفي لتتحقق قيمة الكتاب باعتباره مستودعا وصورة للحقائق التي تتعلق بموضوعه. إنه كتاب زاخر بالحياة، وبينما نجده يقفنا على الدولي من بلاد العرب إلى سيف العربية وإفريقية وإسبانيا وفارس والهند والصين والملايو، فإننا نحس من وراء صفحته الهادئ عمق الحجج المقنعة وفنونها، تلك الحجج التي تبعث فيه الحياة»[٣٠].

(٣٠) نيكلسون: مقدمة كتاب الدعوة إلى الإسلام ص١٦-١٧.

وبعد هذه الإشارات إلى مكانة هذه الشواهد ومكانة شهودها، نقدم شهادة «سير توماس أرنولد» على زيف دعوى انتشار الإسلام بالسيف والعنف والحرب والإكراه

تلك الدعاوى التي روج لها، ولا يزال، مشروع الهيمنة الغربية

فيعلن بالحقائق الموضوعية أن انتشار الإسلام إنما حدث، بهذه الصورة المدهشة في سرعتها وقوتها، لسببين أساسيين

أولهما: الضعف الذاتي والمرض الذي أصاب النصرانية والإفلاس الذي أصاب كنائسها المتناحرة، كثمرة للحرب الدينية الطاحنة بين الكنيسة الغربية والنصرانية الشرقية، وكثمرة للانقسامات الحادة والتعصبات العدائية في صفوف المؤسسات الكنسية إبان مراحل الظهور والانتشار للإسلام

وثانيهما: سماحة الإسلام وبساطته ومنطقه العقلاني والقوة الذاتية التي امتلكها وتميز بها هذا الدين عن غيره من الديانات

كما يشهد «سير توماس أرنولد» ومعه كوكبة العلماء الغربيين الذين استشهد بدراساتهم على الحقيقة التي تمثل «مفارقة غريبة»: حقيقة انتشار النصرانية التي هي

دبانة سلام المتصرف. و صوفه امصلمه بالسيف و لعنف و نفهر و لإكراه بيسما تم نتشار الإسلام امدى هو دين ودولة وعقيدة وشريعة بالسماحة. والدعوة لتي تتوجه إلى العقول، وتحتذب القلوب

يشهد لعلامة «ارنولد» على هده الحقائق بموصوعية و لتاريخية وما لنا في هدا مقام. إلا نقديم نصوصه الموثقة. التي نقدمها لمقارئ لعربي لطالم للإسلام أو الجاهل بحقيقته ليراجع موقفه من الإسلام

كما نقدمها لقارئ لمسلم، ليزداد يقينه بعظمة الإسلام وسمو سماحته وليزداد عزمه على الدفاع عن الإسلام في مواجهة الحملة البربرية الظالمة لهذا الدين

ونحن نقدم هذه الشهادة شهادة «سير توماس أرنولد» تحت هذه العناوين

١ حالة النصرانية إبان ظهور الإسلام

٢ لعوامل الذاتية لتفوق الإسلام وسرعة نتشاره

٣ سماحة الإسلام

٤ نشر لمسيحية بالعنف

يشهد على ذلك كله العلامة «سير توماس أرنولد» فيقول

(١)

حالة النصرانية إبان ظهور الإسلام

«لقد صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له في العالم وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما يخدعون خداعاً عظيماً»

جورج سيل Sale G ١٦٩٧ - ١٧٣٦م) مترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية

العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام

إن حالات المجتمع المسيحي نفسه قد جعلت الجهود التي تنطوي على الغيرة والحماسة الدينية في اكتساب مسلمين جدد أشد أثر وأعظم قيمة

ويعد تدهور الكنيسة الإغريقية في مقدمة هذه الحالات جميعا وإلى جانب طغيان الدولة البيزنطية في الشئون الرسمية. بدأ استبداد في الأمور الدينية جعل الحياة العقلية ترزح تحت عبء القرار الحاكم الذي حرم كل مناقشة في شئون الأخلاق والدين والشيء الوحيد الذي قبل مصطلحيهم هو المجادلات العنيفة التي أقامت حرباً عوانا على الكنيسة اللاتينية مقرونة بكل ما في المناقشات الجدلية واللاهوتية المضطربة من شدة ومرارة وتدهورت الديانة المسيحية فأصبحت

ترعى المظاهر الخارجية من عادة تقوم على كثير من الوهم والريبة

ووجدت جمهرة عاداتهم البالغة متمثلة في عبادة العذراء والقديسين والصور والمخلفات الأثرية. وانصرف عدد كبير عن كنيسة نخطت جبالها الروحية إلى الحضيض. وما ملوا من مفتنات لا نهاية لها حول مسائل مذهبية عويصة، كالانبثاق المزدوج لروح القدس، وأخرى تافهة كاستخدام الخبز الخمير أو الفطير في القربان المقدس. فمالوا بصدر رحب تعاليم الإسلام الواضحة المفهومة التي تقوم على الوحدانية. وقد انتهت إلينا أخبار عن طوائف كبيرة من الناس أسلموا، ولم يكونوا من سقط عامتهم فحسب، بل كانوا من العلماء على اختلاف طبقاتهم ومناصبهم وحالاتهم. وأخبار عن الطريقة التي أجرى بها الأتراك أرزاق سخية على هؤلاء الرهبان والمساوسة الذين اعتنقوا الإسلام حتى يكونوا قدوة قد تدفع غيرهم إلى اعتناق الإسلام

وبينما كانت «أدرنة» لا تزال العاصمة التركية (أي قبل سنة ١٤٥٣م) كان البلاط قد اكتظ بالذين أسلموا، ويقال إنهم كانوا يؤلفون السواد الأعظم من أصحاب الجاه والسلطان هناك

وكثير من تجار الأمراء النبرتصيون وغيرهم إلى صفوف المسلمين ووجدوا منهم ترحيبا كبيرا.

وبعد سقوط القسطنطينية ظهرت الصدمات بعدها من المجتمع المسيحي من الاستعداد لاعتناق الإسلام من طوائف بكثير استعداد جمهرة اليونان.

وفي الكنيسة الإفريقية أصبح الدين الإسلامي منفتحا الطبيعي لأفراد الكنيسة الشرقية. هؤلاء الذين حسبوا أمثال هذا الحسن بعد أن عرفوا صورة من العقيدة أنقى وأبسط. (٣١)

فساد رجال الدين المسيحي كان من أسباب اعتناق الإسلام

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي في مصر (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ / ١١٦٩ - ١١٩٣م) تمتع المسيحيون بالسعادة إلى حد كبير. وفي ظل ذلك الحاكم الذي عرف بالتسامح الديني، فقد خففت الضرائب التي كانت فرضت عليهم وأزيل بعضها جملة، وملئوا الوظائف العامة كوزراء وكتاب وصيارفة.

وفي عهد خلفاء صلاح الدين نعموا بمثل هذا التسامح والرعاية قرابة قرن من الزمان، ولم تكن هناك ما يشكون منه

(٣١) الدعوة إلى الإسلام، ص ١٨٥ - ١٨٧.

الا ما اتصف به كهنتهم انفسهم من الفساد و لاانحطاط فقد
فشت السيمونية [٣٢] بينهم، فبيعت مناصب الكنسيين
لدين تصفو بالجهل و لردية على حين حيل بين لدين
صلحوا السعيس وبين هذا لمنصب المقدس بعجزهم عن
أداء الأموال لمطلوبة في احتقار وازدراء، مع انهم كانوا
من الجديرين بشغل هذا المنصب وكان من أثر ذلك أن
همل تثقيف الناس روحيا وخلقيا إهمالا تاما وبلغت الحالة
المسيحية درجة محزنة من الانحلال كما بلغ من فساد
لكنيسة أنه عند وفاة يوحنا الرابع و السبعين من بطارقة
الطائفة في سنة (١٢١٦م) كان لابد من انتخاب خليفة
له، وقام بين مجموعات لمتعددة لمتناحرة، التي بحث
في إثارة حقوق لمرشحين لمتنافسين، نزاع عنيف استمر
نحو عشرين سنة إلا أنه لم يكن من سبيل إلى إصلاح ذات
لبين بين هذه لجماعات. فقد كان اهتمامهم طوال ذلك
لوقت منصبا فيما يترتب على ذلك من نتائج محزنة ضارة، أقل
من اهتمامهم بالمحافظة على روح لتحزب التي تنطوي على
لعناد و إثارة الشقاق

٣٢ السيمونية نسبة إلى سيمون الساحر وهي مجرد محاولة لاقتناء من طريق المال الى الرتب الروحية و لكهنوتية وبيع لاشياء لروحية بالاثمان الدنيوية

وفي أكثر من مناسبة حوب لسلطان تحلس على تعرش ن يصلح بين هده لفرق المتخاصمة ورفض ما عرضت عليه رب صحمه بلعت ثلاثة الالاف وخمسه لالاف، بل عشرة لالاف قطعه من لعملة الدهبيه ليعروه بان يكفل لهم اختيار احد المرشحين بالضغط واستعمال نفوذه الرسمي، بل لقد عرض عليهم هذ لسلطان ن يتجاوز عن المطالبة بالرسوم لتي عتاد ان يؤديها الطريق لدى ظهور حدث الانتخاب. لو نهم طرحوا منازعاتهم ووصلو إلى شيء من الاتفاق ولكن هده لجهود لم تحقق أي غرض من لأغرض وحلا في لوقت نفسه كثير من لأسقفيات. ولم يكن هنا من يحل محل الأساقفه والقسيسين لدين ماتو في تلك لفتره

ومما يدل على أن تحول لمسيحيين في لاسلام لم يكن راجع لى الاضطهاد. وما وقف عليه من لشواهد لتاريخيه الأصمه وهو نه في الوقت لدي سغر فيه كرسي البطرقة. تمتع لمسيحيون بالحرية لتامة في إقامة شعائرهم وسمح لهم بإعادة بناء كنائسهم بل بناء كنائس جديدة، وتخلصو من لقيود لتي حتمت عليهم ن يركبو لحمير و لبغال. وحوكمو في محاكمهم الخاصه على حين اعفي الرهبان من دفع لجزية، ومنحو امتيازات معينة " [٣٣]

(٣٣) الدعوة الى الإسلام (ص١٢٨، ١٣٠)

أن سرعة انتشار الإسلام في الأيام الأولى من الاحتلال العربي قد تكون راجعة إلى عجز الديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء، أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الظاهرة التي قام بها الفاتحون لجذب الأهليين إلى الإسلام. وأن الأساس اللاهوتي لعقائد اليعقوبيين[٣٤] ضعيفة متقصفة. وإن الشعائر التي جاهدوا في سبيل الاحتفاظ بها وقتاً طويلاً ودفعوا ثمناً غالياً في هذا السبيل، قد اجتمعت في عقائد كانت صيغتها شديدة التكون غموضاً وإبهاماً من الناحية الميتافيزيقية. ولا شك أن كثيراً من هؤلاء قد تحولوا، وقد أحدث تحيرهم فيها كل مجهود، واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من بحث الجدل العقيم الذي جمد من حولهم إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة، ورسالة نبيه محمد. بل نجد في داخل الكنيسة الشرقية نفسها في عصر متأخر شواهد تنبئ عن حركة، إن لم تكن إسلامية خالصة، فقد كانت على الأقل وثيقة الصلة بها. وربما ساعد عدم وجود أي نظام كنسي مستقل، يجد طريقه للإفصاح والتعبير عنه، على زيادة الذين دخلوا في الإسلام[٣٥].

---

(٣٤) اليعقوبية فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب، وهي إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح: اليعقوبية والملكانية والنسطورية. فاليعاقبة يقولون بطبيعة واحدة للمسيح أي أنه هو الله والإنسان متحد.

(٣٥) الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٢٥-٢٢٦.

ـ بطريقة الحيدة المسيحية التي وجدت أقصى ما يمكن دركه والعثور عليه في أسفف في أكبر صورة. فقد ستطيع ن تظهر بعض الميل نحو الآداب الإسلامية الأكبر ... وكثرة عدد الأقباط الذين كانوا يعتنقون الإسلام من حين إلى حين احد باع النبي (محمد) يعتبرونهم أشد ميلا لشيء الدين الإسلامي من أية طائفة أخرى

ويظهر أن الأمية كانت متفشية في السواد الأعظم من رجال الدين المسيحي فإن معظمهم لم يعرف كيف يكتب برغم ... بصعف بالفرائض. وكانوا على جانب كبير من الجهل ... مذهبهم المقدسة إلى حد أنهم لم يستطيعوا حتى إعادة صيغة الغفران عن ظهر قلب وعلى الرغم من أنه كان من واجبهم أن يتلوا القداس وسائر الخدمات باللغة اللاتينية. كان هناك عدد قليل جدا يستطيع أن يدرك شيئا منها كما كانوا على جهل بأية لغة عدا لغتهم الأصلية. وكانوا لا يعرفون عن حقائق دينهم إلا معرفة عامة أخذوها بالتواتر [٣٦]

وإن الحقيقة. الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين، قد عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط (البيزنطي) الذين

(٣٦) أبو العنوز، ... الإسلام (ص ٢١١ - ٢١٢)

ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق على من تسببهم اعتناقهم حتى اليوم . كان بعضهم بعدئذ لم يلقى بهم في لسم وسيع كثير منهم بطريقهم إلى المنفى ينجو من أيدي مضطهديهم وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقية، وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية [٣٧] وقد قيل إن جستنيان (٤٨٣ - ٥٦٥م) أمر بقتل مائتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية، وأن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء

وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرون من الزمان ويظهر حالة القبط في الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعا ما . وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الجدد بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية، حاضرة مصر وقتئذ، لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة» [٣٨]

[٣٧] مجمع مسكوني انعقد سنة ٤٥١م وهو منافٍ لعقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح وهي عقيدة الكنيسة القبطية

[٣٨] الدعوة إلى الإسلام، ص١٢٣ - ١٢٤

ويزعم كثير من علماء اللاهوت المسيحيين أن حالة الكنيسة الشرقية التي تدهورت في ذلك الوقت من الناحية الخلقية والروحية لا بد وأن تكون قد دفعت كثيرين إلى أن يلتمسوا جوا روحيا أسلم وأصح في ذلك الدين الإسلامي لدى حماته وهو في أشد ما تكون الحماسة العصبية قوة وعنفا.

وعلى سبيل المثال، يقول «ملمان Dean Milman»:

«لقد كانت حال العالم المسيحي في الأقاليم التي تعرضت لأولى غزوات الإسلام: كانت الأحزاب الدينية يعادي بعضها بعضا، ورجال الكنيسة يتنازعون فيما بينهم على أشد مسائل الدين إبهاما وأكثرها غموضا فيما يتعلق بما وراء الطبيعة في العقيدة الدينية، والأرثوذكس والنساطرة وأتباع أوطيخوس [٢٩] واليعاقبة يضطهد بعضهم بعضا، وقد استحكمت بينهم العداوة التي لا تفتر ولا تنقطع، ولا نكون مبالغين في الحكم على مساوئ تحلل الدين إذ افترضنا أن كثيرين ربما فرحوا بوقوع خصومهم في إسار الكفر (يقصد المسلمين)، إذ كان هذا أفضل عندهم من أن يجمع بينهم

(٢٩) أوطيخوس Eutyches (٣٨٨ - ٤٥٤م) هرطوقي عاش في القسطنطينية [illegible] في [illegible] (مونوفيزية)، فحرمه مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م

وعرفت بفعل الانقسامات الداخلية، وترعرعت قواعدها الأساسية واستوى على رحابها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب. ثم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك الفقهية، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب.

أضف إلى هذا قول «تايلور Canon Taylor» (١٧٥٣ - ١٨٢٤م)[40] «إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر (هذا الدين الجديد) بهذه السرعة في إفريقيا وآسيا. كان ثمة لاهوت في إفريقيا والشام قد استبدل بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية غامضة... ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بوضع فضل العزوبة في السماء وسمو الأسكورية إلى مرتبة الملائكة فكان عمران العالم هو الطريق إلى الفداسة والقذارة صفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها

---

(٤٠) جون تايلور (١٧٥٣ - ١٨٢٤م) فيلسوف سياسي أمريكي، عرف بـ جون تايلور أوف كارولاين، له مؤلفات تهتم في حقوق الحكومة بالولايات

الفساد. والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب. ولم يكن لعبيد أمل في حاضرهم ولا مستقبلهم. فأرى الإسلام. نعوذ من الله. هذه المجموعة من الفساد والخرافات. لقد كان نوره على المحاذاة الخروفة في العقيدة. وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى. ولقد بين أصول الدين التي تقوم بوحدانية الله وعظمته. كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه. وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة آخرة ويوما للحساب. وتوعد بالأشرار عقابا أليما. وفرض الصلاة والزكاة والصوم. وفعل الخير. ونبذ الفضائل الكاذبة والمدح للدنيا والرهبانية والنزعات الأخلاقية الضالة. وسفسطة المتزعين في الدين. وأحل الشجاعة محل الرهبنة. ومنح العبيد رجاء. والإنسانية إخاء. ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية. التي تقوم عليها طبيعة البشرية»

«أضف إلى ذلك. أن الإسلام قد نظر إليه بعض الباحثين على أنه رد فعل ضد النظام الكنسي البيزنطي. الذي كان يمثل الإمبراطور ورجال الكنيسة صورة من الحلالة الإلهية في الأعلى. ونظر إلى الإمبراطور نفسه لا على أنه الحاكم الدنيوي الأعظم فحسب بل على أنه الكاهن الأكبر كذلك



"أصف إلى ذلك أيضا أنه كان لتعميم استعمال اللغة العربية في كافة البلاد الخاضعة للخلافة الإسلامية ونحضة المدن والمراكز الكبرى الآهلة بالسكان كما كان كذلك التماثل الذي تم تدريجيا في الأخلاق والعادات. والذي أدى في خلال ما يقرب من قرنين إلى اندماج الأجناس المغلوبة على اختلافها اندماجا قويا في الحياة القومية التي كان يحياها العنصر العربي الحاكم كان لهذا كله من غير شك صدى في الحياة الدينية والفكرية لدى كثيرين من أفراد الديانات التي دخلت في حماية العرب الفاتحين ومن المحتمل جدا أن تكون الحركة الفكرية التي أثرت في العقيدة الإسلامية تأثير بالغا، ابتداء من القرن الثاني حتى القرن الخامس للهجرة قد أثرت في المفكرين المسيحيين وصرفتهم عن دينهم كانت روح عقيدتهم السائدة تلوح في ذلك الوقت إنها عقيدة مستخفية من الناحية العملية" [41]

"لقد اختفت الكنيسة المسيحية (في شمال إفريقيا) قبل الإسلام ومع ذلك فقد تلفت من صعهاد الوندال [42]

---

(41) الدعوة إلى الإسلام (ص89 – 92).

(42) قبيلة جرمانية قديمة استوطنت مع قبائل جرمانية أخرى وادى نهر ... من حوالى القرن الخامس قبل الميلاد



صرية لم تخو منها قط. فقد ظل لوندال لاريون، قرابة قرن من الزمان. يضطهدون الأرثوذكس اضطهاداً عنيفاً لا هوادة فيه، فشردوا أساقفتهم، وحرموا الجهر بإقامة شعائرهم الدينية، وقسوا في تعذيب هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا في ديانة من فتحوا بلادهم ...»[٤٣].

«ولكننا لم نسمع (في ظل الإسلام) عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي. ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناند Ferdinand، (١٤٥٢ - ١٥١٧م) و«إيزابلا Isabella» (١٤٥١ - ١٥٠٤م) دين الإسلام من أسبانيا، أو التي جعل بها «لويس الرابع عشر Louis XIV» (١٦٣٨ - ١٧١٥م) المذهب البروتستانتي مذهباً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين من إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة».

لقد كانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع

(٤٣) الدعوة إلى الإسلام (ص١٤٥ - ١٤٦).





بحاثه حد نقف في حسيهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين وبيهم فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن لحمل في طياته دليل يقوى على ما اتصف عليه سياسة الحكومات الإسلاميه بوجه عام من تسامح نحوهم

به يجب ألا يفترض أن حالة النقط كانت على الدوام حالة طائفه مضطهدة، بل على العكس. كانت هناك فترات كانوا يرقون فيها الى المناصب التي تتمتع صاحبها بالشهرة والغنى في الدولة فملأوا مناصب الوزراء والكتاب في دواوين الحكومه، وحددوا قيمة الضرائب التي تجبى على الأرض التي تعطى على سبيل الالتزام ، وجمعوا ثروة ضخمه في بعض الحالات. ولقد أمدت تاريخ كنيستهم بكثير من الأمثلة عن رجال الكنيسة الذين تمتعوا بعطف الأمراء الذين حكموا بلادهم. وبعم النمط في عهدهم بأقصى درجات الطمأنينة

صحيح أن بعض الخلفاء قد قاموا بمحاولات غير مجدية لإقصائهم عن الوظائف العامة. فأصدر المنصور (١٣٦ ١٥٨هـ ٧٥٤ ٧٧٥م) والمتوكل (٢٣٢ ٢٤٧ هـ

---

٤٤ ... في ... الأجر ... الزراعية ... تصرح فيه ... نفوس ... الأرض في ... من ... الأسر ... حيث ... مصر ... يقوم بالإشراف على زراعة الفلاحين ... الأرض نفسه

٨٤٧-٨٦١م)، والمقتدر (٢٩٥-٣٢٠ هـ - ٩٠٨-٩٣٢م)، والآمر (٤٩٤-٥٢٤هـ - ١١٠١-١١٣٠م) وهو أحد الخلفاء الفاطميين في مصر مراسيم بهذا الصدد، وصدرت مثل هذه المراسيم في عهد سلاطين المماليك في القرن الرابع عشر الميلادي، ولكن مجرد تجديد هذه المراسيم الخاصة بإقصاء الذميين من الوظائف الحكومية دليل على أن مثل هذه الأساليب التي تنطوي على التعصب لم تكن توضع موضع التنفيذ دائما. والحق أنه يمكن أن تكون هذه المراسيم راجعة بوجه عام إلى سخط شائع أثاره السلوك الخشن المتعجرف الذي يسلكه الموظفون المسيحيون، أو إلى تعصب شديد منهم حمل الحكومة على القيام بأعمال من التعسف تتنافى مع الروح العامة التي ظهر بها الحكم الإسلامي، ولكن مصير هذه الأعمال التعسفية قد آل إلى الزوال في أسرع وقت. إن هذه المراسيم لم تكن إلى حد كبير أثر الشعور الديني البحت بقدر ما كانت أثر للظروف السياسية التي سادت هذا العصر.

ويمكن أن نرجع كثيرا من اضطهادات المسيحيين في البلاد الإسلامية إما إلى الشك في ولائهم، الذي كانت تثيره دسائس المسيحيين الغرباء وأعداء الإسلام وتدخلهم في شئونهم. أو إلى الشعور السيئ لدى أثارة المسلمين

٧٥٤ ٧٧٥م)، والمهدي (١٥٨ ١٦٩هـ ٧٧٥ ٧٨٥م)، والمأمون (١٩٨ ٢١٨هـ ٨١٣ ٨٣٣م)، والمتوكل (٢٣٢ ٢٤٧هـ ٨٤٧ ٨٦١م) والمقتدر (٢٩٥ ٣٢٠هـ ٩٠٨ ٩٣٢م)، وإلى كثير من خلفائهم. كما تعرضوا أيضا بعض كثير من المسلمين باستخدامهم عيونا للدولة العباسية ومطاردة أتباع البيت الأموي الذي أقصي عن الحكم. وفي عصر متأخر نبههم المسيحيون في زمن الحروب الصليبية باتصالهم بالصليبيين اتصالا ينطوي على خيانة، فحملوا على أنفسهم قيودا شديدة الحرج، ليس من العدل أن نصفها بأنها اضطهاد ديني

يقول السمعاني [٤٦] (٥٠٦ ٥٦٢هـ ١١١٣ ١١٦٦م) (ج١) نفسه الأول (ص٩٨ ١٠٦) حين يتحدث عن الأسباب التي أدت إلى اضطهاد المسيحيين في ظل الحكم الإسلامي

"كثيرا ما أثارت المنازعات المتبادلة بين المسيحيين أنفسهم، وتصرفات رجال الدين وكبراء قادتهم، وسلطة أقطابهم العاتية عاصفة من الاضطهاد، وخاصة تدخلات بين الأطباء والكتاب بقصد السيطرة المطلقة على ملتهم

وفي خلال الحروب الصليبية، طالما وقع المسيحيون الشرق

---

(٤٦) أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني مؤرخ رحالة، من حفاظ الحديث له ... في تاريخ والأنساب ... وتاريخ مرو يزيد على عشرين جزءا.

ولا يجوز أن نخفف عدد ألوان القسوة والعنف اللذين ارتكبا في أية مناسبة والتي إذا نظرنا إليها عن قرب لن نتردد في معرفة أن أسبابها كانت سياسية محضة، أو راجعة إلى الأهواء البشرية أو إلى المزاج المسيطر على الحاكم أو في الشعوب. إن العقل الديني لم يلجأ إلى هذه الوسائل إلا من حيث هي حجة ولكنه في الواقع لا يدخل في نطاقها».

وقد عرض «ماري بن سليمان»(48) تعليلا لحالات الارتداد عن النصرانية إلى الإسلام حول نهاية القرن العاشر بقوله: «وأسلم خلق كثير، وكان أصل ذلك تحول الناس في أديانهم وقبح سيرة الكهنة في المذابح والبيع وبيوت المقدس». «ولم يتعرض أحد لمعظم كنائسهم وأديارهم إلا في المدن الكبيرة، حيث تحول بعضها إلى مساجد، وهو تصرف كان من العسير أن يعترض عليه نظرا لتزايد عدد المسلمين الهائل وما كان يقابله من تناقص في المجتمع المسيحي»(49).

(48) ماري بن سليمان (منتصف القرن الثاني عشر الميلادي) مؤلف نسطوري جمع عقود النساطرة وتواريخهم في كتابه (المجدل للاستبصار والجدل).

(49) الدعوة إلى الإسلام ص٨٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٢٨، ٤٦٢.

(٢)

العوامل الذاتية
لتفوق الإسلام وسرعة انتشاره

لقد باشر محمد سلطة زمنية كالتي كان يمكن أن يباشرها أي زعيم مستقل، مع فرق واحد هو أن الرباط الديني بين المسلمين كان يقوم مقام رابطة الدم. وعلى هذه الصورة أصبح الإسلام، وهو من الوجهة النظرية على الأقل، كما هو دائما، نظاما سياسيا بقدر ما هو نظام ديني.

كانت رغبة محمد ترمي إلى تأسيس دين جديد. وقد نجح في هذا السبيل، ولكنه في الوقت نفسه أقام نظاما سياسيا له صفة جديدة متميزة تميزا تاما.

وكان دخول مبدأ جديد من الوحدة الاجتماعية في ظل الأخوة الإسلامية في المجتمع العربي قد بدأ منذ حين في إضعاف القوة الراسخة للفكرة القبلية القديمة. تلك الفكرة التي أقامت بناء المجتمع العربي على أساس قرابة الدم. وكان إسلام الفرد ودخوله في المجتمع الجديد هدما لأهم قوانين الحياة العربية الأساسية. كما كانت كثرة دخول العرب في الإسلام من العوامل القوية التي أدت إلى تفكك النظام القبلي وتركه ضعيفا أمام حياة قومية شديدة التعصب قوية التماسك. كذلك الحياة التي صار إليها المسلمون

إن دخول الإسلام في المجتمع العربي لم يدل على مجرد القضاء على قليل من عادات بربرية وحشية فحسب، وإنما كان انقلابا كاملا شمل الحياة التي كانت من قبل

كذلك نجد أن أداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم من التأثير، سواء في جذب الناس أو الاحتفاظ بالمسلمين منهم. وقد أحسن مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥)[٥] في قوله "إن المرء لأشد ارتباطا بالدين الحافل بكثير من الشعائر منه بأي دين آخر أقل منه احتفالا بالشعائر، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور التي تسيطر دائما على تفكيره"

إن الدين المسلم يتمثل دائما في مخيلته وفي الصلوات اليومية، يتجلى هذا الدين في طريقة مسلكية خاشعة مؤثرة، لا يستطيع أن يترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين

يتحدث سعيد بن الحسن أحد يهود الإسكندرية الذي اعتنق الإسلام في سنة (١٢٣٨م) عن مشهد صلاة الجمعة في مسجد باعتباره عاملا حاسما في تحوله إلى الإسلام في

(٥) كاتب وفيلسوف فرنسي يعد مؤلفه "روح القوانين" من معالم النهضة الأوروبية، تحدث فيه بالحديث عن أشكال الحكومة والفصل بين السلطات و[illegible] ...

خلال مرض شديد قد انتابه، رأى في منام أن صوت يأمره بأن يجهر بالإسلام، وعدم دخلت المسجد (ويستمر حديثه إلى أن يقول) ورأيت المسلمين يقفون صفوفا كأنهم الملائكة، سمعت هاتفا يقول هذه هي الجماعة التي أخبر الأنبياء صلوات الله عليهم بقدومها. ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء استولى على شعور عميق من الرهبة. ولما ختم خطبته بالكلمات: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، وما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعني إلى النهوض. لأن صفوف المسلمين بدت أمامي كأنها صفوف الملائكة الذين يتجلى الله عليهم في سجداتهم. ثم سمعت هاتفا يهتف بي: إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى نبي، سوف يتكلم في كل العصور. فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة في كل وقت من أوقات الصلاة. واعتقدت في نفسي أني خلقت لأكون مسلما"

ما يقوله "ارنست" (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) فإنه يقول:

"ما دخلت مسجدا قط، دون أن تهزني عاطفة حادة وبعبارة أخرى دون أن يصيبني أسف محقق على أني لم أكن مسلما

(٥١) مؤرخ وناقد ومستشرق فرنسي، كتب عن نشأة المسيحية ونقد كتب العهد القديم والجديد، وهو من الذين برعوا في تقسيم البشر بحسب العنصر حسب السلالات

ومن كلمات أسقف مسيحي مشهور «ما من فرد يتصل بالمسلمين لأول مرة لا حد يظهر لديهم هذا وحيثما يمكن للمرء أن يرى الرجل منهم، يترك في المحطة التي يقوم فيها بأداء أعماله أيا كانت، ليؤدي صلواته في أوقاتها المحددة. وأكثر من ذلك، أنه ما من فرد رأى يوما ساحة الجامع الكبير يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، وهي غاصة بما قد يربو على (١٥,٠٠٠) مصل وكلهم جميعا منهمكون في صلاتهم، مظهرون أعمق آيات الإجلال والخشوع في كل إشارة يبدونها إلا تأثر تأثرا عميقا بهذا المشهد، أو أخذ فكرة عابرة عن تلك القوة التي ينطوي مثل هذا النظام تحت لوائها، علي حين نجد النظام الدقيق لدى سعيي في دعوة الناس اليومية إلى الصلاة عندما يؤذن الداعي في وقت السحر، قبل أن يتنفس الصبح، أو بين ضوضاء ساعات العمل وصخبها، أو عندما يرخي الليل سدوله كذلك، مُعلما بلغت الرسالة ذاتها».

ولا حاجة إلى القول بأن صيام شهر رمضان جزء من دليل ثابت يدحض النظرية القائلة بأن الإسلام نظام ديني يجذب الناس عن طريق مراودتهم في ملذاتهم الشخصية، وكما

ق كرلس، (١٧٩٠ ١٨٤٣م)[٥٢] ن دين محمد ميس بالدين لسهل، فإنه بما فيه من صوم فاس، وطهره وصيغ معقدة صارمة، وصلوات خمس كل يوم، وإمساك عن شرب الخمر، لم يفلح في أن يكون دينا سهلا"[٥٣]

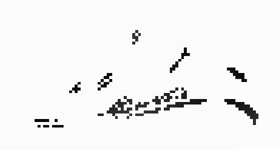
ويرجع انتشار الإسلام في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى اجتماعية وسياسية ودينية. على أن هناك عاملا من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المطردة التي قام بها دعاة من المسلمين وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدى الرسول مثلا أعلى وقدوة صالحة

لقد حمل الإسلام، منذ البداية، طابع الدين الذي يقوم على الدعوة ويسعى لجذب قلوب الناس لتحويلهم به وحثهم على الدخول في زمرة المؤمنين وكما كانت الحال في مبدأ الأمر كذلك ظلت على هذا النحو إلى اليوم

ولم يكن نشر الإسلام من عمل الرجال وحدهم، بل لقد قامت النساء المسلمات أيضا بنصيبهن في هذه المهمة

(٥٢) مصلح ومفكر بحيري جر به كذلك نسهور معظمه به أوبهم محمد،

(٥٣) الدعوة إلى الإسلام (ص٥٢، ٥٩، ٦١، ٤٥٩، ٤٦٠، ٥٥٨، ٥٥٩)



ابدسية   وقد انشا دعده السنوسية [٥٤] لدبن قدمو لشر
دعوتهم بين لوبو [٥٥]، سمال تشدد، مدارس تلسات،
و سعلو م كست تحدده لنساء من نفوذ قوى بين القبائل
(كم كب لهن هد النفود سن حر بهم من سرس)، فدلو
جهودهم لحدبهن لى صفوف الإسلام

به نحب لا نسس لأدبه على روح لدعود لإسلامه
في قسود المصطلهم، و عسف لمعصب، ولا حتى في
مير نمحرب لمسلم دمث سعل لاسطوري الذي حمل
نسف في حدى بدبه رحس لقرن في بيه لاحرى
وبه ستسسيف في ملك لاعس لودعه لهدنه سي قام بها
لدعد واصحاب لسهن لدبن حسو عمد بهم في كل صقع
من لارض على ن هؤلاء لدعد لم يحرو ى يحد من
هده لأساليب سسميه في سر هد لدس عن طريق ىدعود
و لاقدع بحلاف ما رعم بعضهم لا حسه جعلت نصروف
نمود و لعص مر مستحيلا، سفي مع لأسلب سسسه
فقد جاء لقر ن مسدد في لحص على هده طرق سسسه
في عبر به مه، مثال دلك

---

(٥٤) صرقة صوفية ... سنغلة الإسلامية ... علي السنوسي ... ١٢٠١ ١٢٧٥ ه / ١٧٨٧ - ١٨٥٩ م

(٥٥) من شعوب افريقيه

﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴾ (المزمل ١٠ ١١)

﴿ إلا بلاغا من الله ورسالاته ﴾ (الجن ٢٣)

﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ﴾ (الجاثية ١٤)

﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾

(النحل ٣٥)

﴿ فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين ﴾ (النحل ٨٢)

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (العنكبوت ٤٦)

﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ ﴾ (الشورى ٤٨)

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس ٩٩)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ ٢٨)

ولم تكن هذه التعاليم مقصورة على السور المكية وإنما وردت أيضا بكثرة في الآيات المدنية، كقوله تعالى

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦)

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (التغابن ١٢)

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النور ٥٤).

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الحج ٤٩)

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ١٣)

وإذا كان المسلمون قد بلغوا هذه الحماسة في نشر الدعوة فلسبب لأن بعض العوامل التي ساعدت على نجاحهم في مقدمة هذه الأسباب سماحة العقيدة الإسلامية.

لا اله الا الله، محمد رسول الله، وكان يطلب من الذى يدخل في الإسلام، قبول هاتين الشهادتين. ان هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان، ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة. وبما كانت خالية من المحارج والحيل الاسطرية اللاهوتية، كان من الممكن أن يشرحها أى فرد، حتى أقل الناس خبرة بالمعارف الدينية النظرية.

ولا يستطيع أى فرد أن يوضح الطابع العقلى للعقيدة الإسلامية، وما جنته من هذا الطابع من الفائدة في نشر الدعوة، توضيحا يبعث على الإعجاب، بأكثر مما وضحه البروفيسور «مونتيه» (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧م) [٥٦] في العبارات التالية:

«الإسلام فى جوهره دين عقلى، بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية. فإن تعريف الأسلوب العقلى (Rationalism) بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق. والحق أن محمداً الذى كان متحمسا لدينه، كما كان كذلك يمتلك غيرة الإيمان، وثار

(٥٦) دو ارد مونتيه مستشرق فرنسى ترجم القرآن الى الفرنسية ومن مؤلفاته «حاضر الإسلام ومستقبله»



الاقتـاع تتت لصفة القيمة لتى بثها كثيرا جدا في أتباعه
فد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحي وإلهام عني
ب هذا لنوع من لوحي ليس إلا صوره من العرض والمصير،
و ن بديه كل لعلامات التي تدل على أنه محموعة من
عقائد قمت على أسس لمنطق و لعقل وتتحصص العقيده
لإسلامية. من وجهة نظر المؤمنين، في الاعتقاد بوحد نية
الله ورسالة نبيه، ما من وجهة نظر نحو المسيحي نحلل عقائده
عيلا لا روح فيه. فيعتقد في الله وفي يحمد الآخرة

وهـد ن نسمد ن هما اقل ما سعى للاعتقاد الديني، وهما
أمران يستقر ان في نص الرحل ممتدين على اساس ثابت من
العقل و لمنطق، وتلخصت كل تعاليم العقيده لتي جاء بها
لقرآن وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها بهي على وجه
لتحقيق من أظهر لقوى الفعالة في لدين وفي نشر الدعوة
إلى الإسلام فقد حفظ القرآن منزلته من غير ن يطرأ عليه
تغيير او تبديل، باعتباره النقطة الاساسية لتي بدأت منها
تعاليم هذه العقيده، وقد جهر لقرآن دائما بمبدأ الوحدانية،
في عظمه وجلال وصفاء لا يعتريه لتحول، ومن العسير أن
نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المرتبة وإذ هذا الإخلاص
كمبدأ الدين الأساسي والبساطة الجوهرية في لصورة لتي

يصنع فيها هذا الدين، والدليل الذي كسبه هذا الدين من قبل الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعا يسهب حماسة وغيره، وهذا كما يكون لأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين وكذا من الموقع لعقيدة محدده كل التحديد، جاذبة كل النحو من جميع العقيدات الفلسفية، ثم هي تبعا لذلك في متناول إدراك الشخص العادي أن تمنحت وأنها لتمتلك فعلا، قوة عجيبة، لاكتساب طريقها إلى ضمير الناس "

"وقد أكد مراتشي Marracci (١٦١٢ - ١٧٠٠م)[57] هذا القول في القرن السابع عشر بقوله "إن القرآن كفر بين ... الحالة الطبيعية البسيطة التي فاقت طاقة إدراك البشرى ... على الإقبال من صعوبة ... لم تكن مسيحية ... عقيدة المسيحية وبين عقيدة الفرق ... من الأولى في الحب ... في الترحيب وقبول "

"وإذ قال الذي بحث في الإسلام هذه العقيدة البسيطة وتعاليمه، لم تكن ... عدد من ... فرض الدين لحمس

(٥٧) لاسـ مراتشي مستشرق إيطالي ... القوت عشر ... وترجمه ... ومن درسه عن الإسلام كما ... في ترجمته ... القديم والحديث

(١) اسطق بالشهادتين

(٢) وإقام الصلوات الخمس في أوقاتها

(٣) وإيتاء الزكاة

(٤) وصوم رمضان

(٥) و لحج إلى مكة

وطالما اعترض بعض الناس على أداء هذا الفرض الأخير باعتباره بقية غريبة من بقايا الوثنية ظلت من جملة تعاليم النبي التي تدعو إلى الوحدانية. ولكن ينبغي الا نعزب عن الأذهان، أن الحج قد اقترن بإبراهيم، فهو إعادة دين إبراهيم ولكن، فوق ذلك كله وهنا تكون أهميته لعينيا في تاريخ نشر الدعوة في الإسلام ينظم الحج اجتماع المؤمنين في كل سنة. على اختلاف شعوبهم ولغاتهم، من كافة أنحاء العالم، للصلاة في ذلك المكان المقدس الذي يولون وجوههم شطره في كل ساعة من ساعات عبادتهم الخاصة في أوطانهم النائية ولم تستطع أية محاولة يقوم بها عباقرة أي دين أن تتصور وسيلة أحسن من هذه الوسيلة تطبع في عقول المخلصين معنى حياتهم المشتركة، وأخوتهم التي ترتبط بروابط الدين، وفي ذلك المكان، حيث نجد عملا ساميا من أعمال العبادة المشتركة. نرى زنجي ساحل أفريقيا العربي

يلتقي بالصيني من أقصى المشرق، ويتعرف التركي الرقيق المهذب على أخيه المسلم من أهل الجزائر المتوحشين الذين يسكنون أبعد أطراف بحر الملايو وفي هذا الوقت نفسه تتطلع قلوب المؤمنين في كافة أنحاء العالم الإسلامي، في عطف وحنين، إلى إخوانهم الأسعد حظا منهم الذين تجمعوا في المدينة المقدسة، فيحتفلون في أوطانهم بعيد الأضحى العيد الكبير وإن زيارتهم المدينة المقدسة قد أصبحت في نظر كثير من المسلمين التجربة التي حثتهم على الجهاد في سبيل الله ويعد فقد طبقه الحجي الحجاج بنصيب فعال في أعمال نشر الدعوة الإسلامية

وفي حسب نظام الحج، نجد إسلام لركة فرص يذكر المسلم دائما بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات ١٠) وهي نظرية دينية تتحقق على صورة رائعة يبعث على الدهش في المجتمع الإسلامي، وقلما تعجز عن أن تتجلى في أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد ومهما يكن جنسه ولونه وأسلافه، فإنه يقبل في زمرة المؤمنين ويتبوأ مكانه على قدم المساواة مع أقرانه المسلمين.

لقد روعي في تأليف هيئة الكنيسة المسيحية منذ بدء تاريخها، نشر العقائد المسيحية بين الكفار وكان

ميسروهم في أغلب الأحيان. فالقسوسة والرهبان يعبدون ليهدا
يعرض مسلطهم، أما في الإسلام فإن عدم وجود أي لون من
ألوان الكهنوت أو ما يشبه ذلك لطبقة مشابهة لها. قد جعل
نشاط الدعوة عند المسلمين سيحيى في صور مختلفة تمام
الاختلاف عن تلك التي تظهر في تاريخ الشعوب المسيحية
المسيحية فليس هناك جمعيات للدعوة. ولا موكلون
مدربون لهذا الغرض كما أنه قلما نجد من يوجه الجهود في
هذه السبيل. إن عدم وجود فكرة عن نظام الكهنوت. ورواية
نظرية ترى فصل المعلم الديني عن عامة المؤمنين. وترى
ضرورة العكوف على تأدية الوظائف الدينية. والتصريح بها
كل ذلك يجعل الاختلاف الأساسي في التقسيم. يظل قائما
في كل مكان، في وضوح وجلاء"

"ولم يكن النشاط الروحي للإسلام كما زعم عدد كبير
من الناس، مستمدا مع سلطانه السياسي بل على
العكس من ذلك. نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش
المادي. يعمل على إبراز جمال الصفات الروحية التي تعد
أصدق البواعث التي تحض على القيام بأعمال الدعوة".[58]

(٥٨) الحداد في الإسلام ص٢٧، ٢٨، ٣٠، ٦٢، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٦٩).

"وتستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة. وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على التسامح"

يقول لايارد Layard: "إنه صادف مخيما من العرب المسيحيين في مدينة الكرك، شرقي البحر الميت، لا يختلفون عن العرب المسلمين بحال ما، سواء في القرى أو البلدات"

"ولا شك أن التحول إلى الإسلام كان يقترن ببعض مزايا مالية معينة، ولكنه لم يكن من الممكن أن يكون للدين الجديد إلا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام لا لشيء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية، وعندئذ كان على الذين يتحولون إلى الإسلام أن يؤدوا بدلا من الجزية الصدقات الشرعية، وهي الزكاة التي كانت تفرض سنويا على معظم أنواع الممتلكات المنقولة والعقارية. وقد قل إلى حد بعيد ما كان يحدث من إغراء مادي للتخلص من عبء الضريبة عن طريق التحول إلى الإسلام، وذلك حين اضطرت بعض الاعتبارات المالية الحكومة العربية حول نهاية القرن الأول، إلى أن تشدد على المسلمين الجدد في أن يواصلوا دفع الجزية حتى بعد دخولهم في زمرة المؤمنين"

رشم حمعه من مسيحي سب دس عشر من د ء صريه
على سريطه يعدمو حمعه من مرحب مسحس لحرمه
ه رب عي حبل Geraens Cithaeron سي كب
ىردى لي حيع كورسه وكب مسيحوب دس سحدمو
ضلاع مقدمة حيش سركي لإصلاح طرق ودمه
حسور قد عشر من د ء حرج ،ومحوهب من لارض
معدود من حميع صرب ركدت ه ديع هي Hydre
مسيحيو صرب مسره مسط ، د قدمه هي
مقطلع قرنه من دس رحمسس من سد حب لاسطو
سركي كب بعو عليهم من سب مال في مد حمه
وقد عطي صب من صريه هي رضب حسربه دس
صو عليهم Awmalolı ركب رمود عصر مهمه من
عصر عرد في حيش سركي حلال لدس سدس عسر
و سبع عسر ملادس م مردوب Mirdites رهم
قسه كنرسكبه سه كب حي حب رقعه سمي
سكسر (Scatri) ، ركب ذلك عي مربطه شمر قرنه
سحه في من حرب ست روج ذب ه قو حره
رزدس عي عدري الأخرى مس سرقه على سحر سي
مدت عسحصه م سرب لا حي دس كدو في

حراسة مستودعات البارود في تلك المدينة نظراً إلى ما قدموا للدولة من خدمات. ومن جهة أخرى أعفي الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام، وفرضت عليهم الجزية في نظير ذلك، كما فرضت على المسيحيين"

"إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق. إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح، وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى

وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ الإسلامي قد تلوثت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية، فإن الكفار على وجه الإجمال، يعيشون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلاً في أوروبا حتى عصور حديثة جداً. وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقاً لتعاليم القرآن ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦) ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس ٩٩)، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس ١٠٠)

إن مجرد وجود كثير جداً من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قرونا في ظل الحكم الإسلامي، لدليل

ت ست علي ذلك لنسمح بذي نعم به هؤلاء المسيحيون كما يس
علي ان الاضطهادات التي كانوا يدعون إلى معابدهم بأيدي لعصاة
و لمتعصبين إنما كانت نتيجة من بعض ظروف خاصة و قليلة،
كثر من ن تكون منبعثة من مبدا مقرر من لتعصب "

" ولما هرب موسى بن ميمون (٥٢٩ ٦٠١هـ ١١٣٥
١٢٠٤م) لدى كان قد تظاهر بالدخول في الإسلام في
عهد المرحدين، الذين كان حكمهم ينطوي على لتعصب
الديني إلى مصر، وأعلن هناك أنه لملا نه يهودي،
اتهمه احد فقهاء مسلمين من سبب الارتداد عن
الاسلام، وطلب بأن يوقع عليه أقصى عقوبة يقضي بها
لشرع لهذا الجرم ولكن القاضي الفاضل عبد الرحيم
بن علي (٥٢٩ ٥٩٦هـ ١١٣٥ ١٢٠٠م) وهو من
أشهر قضاة المسلمين، وكبير وزراء صلاح الدين لعظيم
(٥٣٢ ٥٨٩هـ ١١٣٧ ١١٩٣م) ألغى هذا الحكم
وأعلن بصفة حازمة أن رجلا قد أرغم على الدخول في
الاسلام، لايصح شرعا أن يعد مسلما

وبهذه الروح نفسها، نجد "غسان" (٦٩٤ ٧٠٣هـ
١٢٩٥ ١٣٠٤م)[٥٩]، عندما اكتشف ان عمدة الوزارة

---

٥٩ هونكه زيغريد محمود عبد سلامي معمور عبقرية الاسلام ترجمة دين دونه وسيد عبد من مؤسسة في بيروت

الذين كانوا قد دخلوا في الإسلام في مستهل حكمه (حيث خربت معابدهم) ثم يتحولوا إلى هذا الدين إلا ظاهراً ونفاقاً، يسمح لجميع هؤلاء الذين كانوا قد رغبوا في العودة إلى ليبيا، حيث يستردون حريتهم مرة أخرى بين مواطنيهم السودانيين، ويتبعون دياناتهم القديمة.

ويقص لنا "تافرنييه Tavernier" (١) (١٦٠٥ - ١٦٨٩م) قصة مماثلة عن بعض يهود أصفهان الذين كان الحكام قد اضطهدوهم اضطهاداً شديداً أدى إلى أنه جعلهم يتحولون إلى الإسلام بالقوة والخديعة كليهما. ولكن ملك (شاه عباس الثاني) (١٦٤٢ - ١٧٦٧م) أدرك أن القوة والرهبة وحدهما قد أرغمتهم على هذا التحول فأذن لهم أن يستردوا دياناتهم، وأن يعيشوا في هدوء وأمان.

" حتى الحاكم المجنون الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠م) لدى خفت اضطهاداته كثيراً من اليهود والمسيحيين على أن يتركوا دينهم ويدخلوا في الإسلام، قد سمح فيما بعد لهؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام عن غير رغبة أن يعودوا مرة أخرى إلى دينهم وأن يعيدوا بناء أماكن عبادتهم المحترقة.

---

(١) تافرنييه: جان باتيست، رحالة فرنسي قام بست رحلات في آسيا ووصل إلى جاوة وجزر الهند الشرقية، ومنحه ملك فرنسا لويس الرابع عشر لقب بارون ومات في رحلة [illegible] في موسكو.

لقد كان من المستحيل على أي حاكم من حكام الإسلام
الأقوياء أن يستأصل شأفة رعاياه المسيحيين أو يطردهم
من بلادهم، كما فعل الإسبان بالعرب، أو الإنجليز باليهود
مدة أربعة قرون تقريبًا، وكان من الممكن تمامًا أن يفعله
سليم الأول (٨٧٥ - ٩٢٦هـ / ١٤٧٠ - ١٥٢٠م) في سنة
(١٥١٤م)، أو إبراهيم (١٠٤٩ - ١٠٥٨هـ / ١٦٤٠ -
١٦٤٨م) في سنة (١٦٤٦م)، حيث فكرا بالبربرية
التي تطورت فيما بعد في رعاياهم المسيحيين، ولكن عاقبه
المفتي عن صرفه ... عن مثل هذا الغرض
مدى سطوة على تفسيره ... ثمة
الشريعة الإسلامية والتسامح الإسلامي.

... الذي وجد قبولاً عظيمًا في الناس في القرن
السابع عشر، وهو أن كل منطقة ذات ... تحتفظ ... بقلة
فقط أي على أهل مسلم".

وقد استطاع «ميخائيل الأكبر» Michael the Eldern،
بطريق الطاكية اليعقوبي، أن يجد فيما كتبه في منتصف
الثاني من القرن الثاني عشر، من قوة إخوانه في الدين،
وأن يرى صنع الله في الفتوح العربية، حتى بعد أن خبرت
الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون، وقد كتب
يقول بعد أن سرد اضطهادات هرقل (٦١٠ - ٦٤١م)

« وهذا هو السبب في أن الله لا يتقدم لدى نفرد بالقوة والحروب، و لدى بديل دولة البشر كما يشاء. فيرفع من يشاء ويرفع الوضيع. بما رأى شرور الروم الذين نحو إلى القوة، فنهبوا كنائسنا وسلبوا أديرتنا في كافة ممتلكاتهم. وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة. أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب لنخلص على أيديهم من قبضة الروم. وفي الحق، إننا إذا كنا قد نحملنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا وإعطائها لأهل الخلقدونية. فقد استمرت هذه الكنائس في حوزتهم. ولما تسلم المدن العرب خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها (وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حران)، ومع ذلك لم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحقدهم وتحمسهم بعنف ضدنا. وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام».

« ونجد ركلدوس دي مونت كروسيس Ricoldus de Monte Crucis » وهو مبشر دومينكاني زار الشرق في نهاية القرن الثالث عشر يعلق بالثناء على المسلمين، لدى كان قد اشتغل بين ظهرهم بقوله:

« سنوي عجب لدهش. كيف أن أعمالا تتصف بمثل هذا الكمال يمكن أن تحيا في ظل شريعة تضطلع بمثل هذه

لنزعه لأحد دينه (كما ٩) لهذا نستعبد الآن في بحر عمان عرب، تحت مصفه بالكمال. من د سدى لا بعجب إذ نمن حسد اية عدية فائقة بالدراسة يمكن أن توحد بين العرب، وي حلاص في الصلاة، وأية رحمه بالفقير، وأي تبجيل لأسم لله والأسماء والأماكن المقدسة، واى وقر في أخلاقهم، وفي معاملتهم معروفا، وأية موده ترتبط بين جنسيهم"

«لقد كان الأخطل (١٩ - ٩٠هـــ ٦٤٠ - ٧٠٨م) وهو عربي نصراني شاعر للبلاط الأموي وكان القديس يوحنا الدمشقي (٥٥ - ١٢٢هــ ٦٧٥ - ٧٤٠م) مستشار الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ ٦٨٥ - ٧٠٥م) وكان في خدمة الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ ٨٣٣ - ٨٤٢م) أخوان مسيحيان للعاصرية سامية عند أمر المعتصم أحدهما يدعى «سلمويه» وأخاه «براهيم» وشغل الأول منصب يشبه منصب الوزير في العصر الحديث وكانت الوثائق المملكية لا تتخذ صفة التنفيذ إلا بعد توقيعه عليها، على حين عهد إلى إبراهيم بحفظ خاتم الخليفة. كما عهد إليه بخزانة بيوت الأموال في البلاد واختار عبدالملك بن مروان عالما مسيحيا من مدينة الرها، يدعى «إثناس Athansias مؤدب لأخيه عبد العزيز وفي نهاية القرن الثامن، نرى رجلا يدعى أبا نوح الأنباري، كاتب أبي موسى بن مصعب، والي الموصل وفي عهد المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ ٨٩٢

٩٠٢م) كان عمر بن يوسف والي الأنبار مسيحيا . ولقد عهد الموفق وكان صاحب السلطان المطلق على أخيه المعتمد (٢٥٦ ٢٧٩هـ ٨٦٩ ٨٩٢م) بأمر تنظيم الجيش إلى مسيحي، يدعى إسرائيل، واتخذ ابنه المعتضد نصرانيا حرز كتابا له وهو ملك بن الوليد وفي عصر متأخر تولى في أيام المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ ٩٠٨ ٩٣٢م) نصراني حرز أمر ديوان الجيش وكان نصر بن هارون مسيحيا، وكان كبير وزراء عضد الدولة بن بويه (٣٣٧ ٣٧١ ٩٤٩ ٩٨٢م)

وكان البطريق النسطوري «طيماوس Timotheus» يعقد المناظرات في المسائل الدينية بحضرة الخليفة المهدي (١٤٤ ١٧٠هـ ٧٦١ ٧٨٦م) وهارون الرشيد (١٤٩ ١٩٣هـ ٧٦٦ ٨٠٩م) ولما قدم شخص يدعى «يزدانبخت»، زعيم المانوية [61]، في زيارة لبغداد، وعقد مناظرة مع المتكلمين المسلمين، وأفحمه فيها المتكلمون منهم، حاول الخليفة المأمون (١٧٠ ٢١٨هـ ٧٨٦ ٨٣٣م) أن يقنعه باعتناق الإسلام، ولكن «يزد بخت» أبى ذلك، وقال نصيحتك يا أمير المؤمنين، مسموعة وقولك

(٦١) من الشرق والغرب ... [illegible]

[illegible]



مقبول، ويكفيك ممن لا يحمل الناس على ترك مذهبهم، فلم يجد خليفته شيئاً من الأشياء لإحقاق محاولته، ووكل به من حفظه خوف عليه من تعصب الغوغاء (٦٢).

« وأما فيما يتعلق بالسواد الأعظم من هؤلاء المسيحيين العرب فإن الأخبار الخاصة بزوال المسيحية من بين القبائل العربية النصرانية التي كانت تعيش في بلاد العرب الشمالية لا تزال بحاجة إلى شيء من التفصيل، والظاهر أنهم قد انتهوا إلى الامتزاج بالمجتمع الإسلامي الذي كان يحيط بهم عن طريق ما نسميه "الاندماج السلمي" الذي تم بطريقة لم يحس بها أحد منهم، ولو أن المسلمين حاولوا إدخالهم في الإسلام بالقوة عندما انضووا لدى الأمر تحت لواء الحكم الإسلامي لما كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين ظهرانيهم حتى عصر الخلفاء العباسيين».

« وإن مجرد بقاء الكنيسة المسيحية القومية في أفريقيا الشمالية مثل هذا الوقت الطويل ليدحض أي زعم بأن تحولهم إلى الإسلام قد قام على القوة والإكراه .. » (٦٣).

(٦٢) الفهرست ١/ ٣٣٨.

(٦٣) الدعوة إلى الإسلام، ص٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨٢، ٨٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٥٣، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٧.



كان الملك «أولاف ترايجفيسون Olaf Trygevesson» (٩٦٣ - ١٠٠٠م) يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم أو نفيهم وتشريدهم. وبهذه الوسائل نشر الدين في «فيكن» بأسرها.

* ووصية القديس لويس (١٢١٤ - ١٢٧٠م) تقول: «عندما يسمع الرجل العامي أن الشريعة المسيحية قد أسيء إلى سمعتها، فإنه ينبغي ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه، الذي يجب عليه أن يطعن به الكافر في حشاه طعنة نجلاء».

* وقد ظل الإسلام قائماً بين «الشعردية» من أهل المجر حتى سنة (١٣٤٠م)، حين أرغم الملك «شارل روبرت» جميع رعاياه، الذين لم يكونوا مسيحيين بعد، أن يعتنقوا الدين المسيحي أو يغادروا البلاد.

* وفي سنة (١٧٠٣م) جمع «دانيال بتروفتش D. petrovich» الأسقف الحاكم في ذلك الحين القبائل وخبرهم أن الأمل الوحيد لإنقاذ بلادهم ودينهم ينحصر في القضاء على المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم، وكان من أثر ذلك أن الذين لم ينقضوا عهد الإسلام وأبوا أن يدخلوا في المسيحية من مسلمي الجبل الأسود قتلوا في ليلة عيد الميلاد، في ثبات ورباطة جأش.

* وفي روسيا سنة (٩٨٨م) جهر فلاديمير Vladimir بالمسيحية وفي كييف سائر
عمت روسيا في ذلك الحين بالمسيحية وفي كييف سائر
لعميده. أصدر مرسوما يقضي بأن يعتنق الروس كافة، سادة
وعبيد. أغنياء وفقراء بمعتقد وفق طقوس الديانة المسيحية
وهكذا، صبحت المسيحية ديانة الروس ولم يفتح الباب
أمام التدين بالإسلام في روسيا إلا بعد أن صدر مرسوم سنة
(١٩٠٥م) الذي نص على التسامح الديني. أما قبل ذلك
التاريخ، فلقد حاولت الحكومة الروسية فرض المسيحية
على رعايا المسلمين في أوروبا بما في ذلك التتار وكان
القانون الجنائي الروسي يتضمن دائما عقوبات صارمة لهؤلاء
الذين حادوا عن الكنيسة الأرثوذكسية، ويعاقب كل شخص
تثبت عليه تهمة تحويل مسيحي إلى الإسلام، بتجريده من
كافة الحقوق المدنية، وبحبسه مع الأشغال الشاقة مدة
تتراوح بين ثماني سنين وعشر

ولقد دونت الأخبار الكثير عن دخول الناس أفواجا، بعد
صدور مرسوم الحرية الدينية سنة (١٩٠٥م) ولقد
كان أكبر الفضل في ذلك النجاح للدعوة الإسلامية راجعا
إلى مستوى الحياة الأخلاقية في المجتمع الإسلامي. لدى

كذ كبر رف. كم برحع ابضا إلي شعور سحي بدى كب
سبيع في هد سحمع. و بدى كب كثر نمسك وقوه
ركب هؤلاء سبن سلمو سعوب في قراهم عنا و صطهدا
سمينهم « لكلاب سحرين

ولقد حد لحوف من رحب نكبسه لـ ودكسبة كن
محد حتى قمو حمعة حصة شوه سوربع مستورب دبيه
س احاسي « لموعر لاسحرى Abkhazes A ملاقي صهصه
سفود لإسلامي

« وفي لحسه. محد لمنت «سف رعد ١٣٤٢
١٣٧٠م) حاكم مهره مد سر صرمة صد مسلمين في
مملكه نفصى باعدم كل من ى امحوب في لمسيحة
و تعبهم من لبلاد وقد قبل ن لملك «تبد مريام
١٤٦٨ ١٤٧٨م) قضى نحره لاكبر من حكمه في
محربه لمسلمين امين كانوا عيمون على احدود لعربية
من مملكه وقد كب على مسلمي «هديه» ن يدعو حرية
حرى لممك وهي ن يعطوه في كل سة ستا سعرها له.
وحرت هده لعدة في سدهم لمقتضي معهده كب مدب
الحبسه يحكم د ثما نها بموانه حكم عليهم ألا يمسو عده
لحرب. ولا يمسكو لسيف. ولا بركبو خيولهم باسروح



والا قتلهم وخرب مساجدهم وبعد كانوا مجبرين على تقديم الأموال الى رسل الملك ومعها البيت، يخرجونها على السور، بعد تغسيلها وتكفينها ثوب والصلاة عليها، يحسبونها قد ماتت

* وفي ظل الجلا والسومال أدخلوا كرها في الديانة المسيحية زعمهم ملك الحبشة في منتصف الأخير من القرن التاسع عشر.

* وفي سنة (١٨٧٨م) بعد حرب (١٨٧٥م) بين الحبشة ومصر عقد الملك الحبشي «جون» مجمعا يضم رجال الكنيسة الحبشية، ونادوا به حكما أعلى في المسائل الدينية، فقرر وجوب الاقتصار على دين واحد في كافة أنحاء المملكة، وأعطى المسيحيون على خلاف طوائفهم ما عدا اليعاقبة، مهلة عامين ليصبحوا فيها معتنقين في الرأي مع كنيسة البلاد، وألزم المسلمون بالتسليم في خلال ثلاث سنين، والوثنيون في خلال خمس، وأذاع الملك مرسوما بعد ذلك بأيام قليلة، أوضح فيه أن مهلة السنوات الثلاث التي منحها المسلمون كانت قليلة الاهمية، وذلك انه لم يقتصر على إرغامهم بناء كنائس مسيحية، متى كانوا في حاجة إليها، ودفع العشور للقساوسة الذين في مقاطعاتهم الخاصة.

ن به سدر كل لموظفين بمسلمين بأن يحاوروا في خلال ثلاثة أشهر بين قبول التعميد والتخلي عن مناصبهم وكان مثل هذا التنصير الإجباري عديم الأثر بطبيعة الحال، ففي الوقت الذي تظاهر المسلمون فيه بقبول كانوا في الخفاء يؤكدون ولاءهم للإسلام.

وفي هذه الحملة أرغم الملك حوالي سنة (١٨٨٠م) ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد كما حمل عشرين ألفا من أفراد إحدى القبائل اللوسة ونصف مليون من قبائل الحلا على اعتناق المسيحية "[٦٥]

[٦٥] الدعوة إلى الإسلام (ص ٣٠، ٣٢، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧

- ٤ -

الدين والدولة

مقدمة

من معرب وقفت عسا لعلمانية. ودست عدم حوث في ركب معروه الاستعماريه الأوروبية لحديثة

فعن صريق العرو مفكري ومحاولات كسر سوكه الإسلام بالعلمنة ستحريمه عن منهجه ستامل لكل ميدين لدس و لديب و سروح و لمادة. والفرد والمجموع والأمة و لدوبه والآخرة والأولى كن لتحدي لعلماني لدين لإسلام

عد رد لاستعمار لعربي ـ علمنة تحويل لإسلام عن هد منهج شامل ولأصل لكون صورة من النصرانية التي تركت ما لقيصر لقيصر، و كعب بد لله حلاص روح ومملكة السماء ودلك لستأثر الاستعمار القيصر بدب المستعمر الأرص و شروت ـ رك للإسلام لشعائر و طقوس في لمحاريب !

ولقد صنع الاستعمار الغربي في مصانعه الفكرية نحبة من المثقفين المغربين، الذين صيغت عقولهم وفق منهجه بنشر و بهده العلمانية في بلاد لإسلام حتى إنك لو قلت إن كل معرب هو علماني و ن كل علماني هو معرب. لما جاوزت الدقه بحال من لأحوال



وإن الأمة العربية لتعجب من عداء الإسلام ومفكروه رداءة ينقصها الإسلامية قد رفضت هذه العلمانية الغربية في المعركة حولها ما حدث مع هؤلاء المتغربين

وإن هؤلاء العلمانيين المتغربين لا يسمعون إلا ما هو غربي، ولا يؤمنون إلا بما هو غربي، وإلا فإن أصوات لا تمت هو آت من الغرب فقط فربما أن تصح ما عقولهم أصوات غربية تشهد بأن الأوروبية والأمريكية، تقول أصحابها إن الإسلام مختلف كل الاختلاف عن النصرانية، فهو دين ودولة، ودولته مدنية مرجعيتها الدين، فلا هي بالدولة الكهنوتية الدينية الكنسية، ولا هي بالدولة العلمانية اللادينية، وإنما هو الإسلام المتميز الذي يؤسس دولة متميزة أيضا

ولعل عسى الله أن يهدي هؤلاء العلمانيين إلى رؤية حقيقة الإسلام، فيزول عنهم مخاوف الدولة الكهنوتية عندما يسمعون عن دولة الإسلام، فهؤلاء العلمانيون هم جزء من أمة الإسلام، نحرص على الحوار معهم لرأب الصدع الفكري الذي تعاني منه مجتمعاتنا الفكرية في عالم الإسلام، وبهذا آثرنا أن نقدم في هذا الكتاب خمس شهادات غربية لخمسة من علماء الاستشراق هم

١ العلامه د فـد سـانتلانـ (١٨٤٥ ١٩٣١م).
عـلـيع في لفقه لإسلامي وفي القانون العربي

٢ والعلامة شاخـت (١٩٠٢ ١٩٦٩م) وهو من علام
لاستشرق لحديث .

٣ والمستشرق برنارد لويس الذى شهد للإسلام برغم
عدائه للإسلام والمسلمين

٤ والمستشرق لسويسري مارسيل بوزر

٥ ولمستشرق لامبون (ا ك س)

شهادة هؤلاء الخمسة من أعلام لاستشراق لغربي ،
على تميز الإسلام بأنه دين ودوله ومدنية وقانون دونما
جمود ولا رجعة ولا كهنوت ساقيين بمولى سبحانه
وتعالى هذه المخالفين وشفاء نفوس وعقول . ولو
عن طريق هذا « الدواء » الآتي من مصانع الغرب الفكرية .
التي يقدرها إخواننا العلمانيون كل التقدير فغي هذه
الشهادات نوع من « الحكمة لتي هي ضالة المؤمن التي
وجدها فهو حق الناس بها » وكما أن الحكمة ضالة
« لمؤمن » فهي أيضا ضالة « العقلاء » من العلمانيين
او هكذا يجب أن يكون !

أ د محمد عمارة

(١)

شهادة العلامة سانتيلانا

أما الشهادة العربية الأولى، والأولى في هذا الكتاب، فإنها لعالم غربي مرموق، هو حجة في تخصصه العلمي، وفي مكانته بين علماء الاستشراق. وفي الآثار العلمية التي تدعمها. إنه العلامة "دفيد دي سانتلانا David de Saintillana" (١٨٤٥ – ١٩٣١م).

وهو مستشرق إيطالي. ولد بتونس. وتخرج في جامعة روما. وحاز درجة الدكتوراه في القانون. وتعمق فقهه إلى جانب القانون الروماني والقوانين العربية في الفقه الإسلامي وخاصة في مذهبي الإمام مالك (٩٣ – ١٧٩هـ ٧١٢ – ٧٩٥م) والإمام الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤ هـ ٧٦٧ – ٨٢٠م) وبحث إلى جانب ذلك الفلسفة والتاريخ الإسلامي.

وهو الذي درس ووضع القانونين المدني والتجاري التونسي، وفق قواعد الشريعة الإسلامية، وبما لا يتناقض مع القوانين الأوروبية في حقبة الاستعمار الفرنسي لتونس (١٨٩٦م) كما درس تاريخ الفلسفة الإسلامية واليونانية والسريانية باللغة العربية في الجامعة المصرية الأهلية

سنة (١٩١٠م) ودرس في جامعة روما تاريخ الإسلامي وتاريخ الجماعات المذهبية الإسلامية

ومن آثاره الفكرية غير المحصورة به ترجمة وشرح الأحكام المالكية و« الفقه الإسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي» في نحو (١٣٠٠ صفحة) و القانون والمجتمع في المغاربة بين الفقه الإسلامي والقوانين الأوروبية و الفرنسية المدنية والتجارية سنة (١٨٩٨م) وهو مصنف كبير وبحث جامع لفقه الحقوق الإسلامية وبه بعض ملخص من الإسناد لشيخ الطهطاوي جوهري» و الخلافة والسلطة في الشرع الإسلامي» كما ترجم جزءًا منه من كتاب مختصر خليل» في الفقه المالكي لابن إسحاق وفيه مجموعة للأحكام المالكية الأكثر شيوعًا في الحقوق المدنية والتجارية مع تعليق عليه سنة (١٩١٩م)

* وهذه الشهادات التي تقدمها هنا تهدي العالم محجة تؤكد على تميز الإسلام الدين والشريعة عن الأديان الأخرى. في

١- أن الإسلام دين ودولة دون أن تكون دولة كهانة كنسية. تحكم بالحق الإلهي. كتلك التي عرفتها الحضارة المسيحية في أوروبا في العصور الوسطى والمعتمة

٢ - وأن الشريعة الإسلامية متميزة بالقانون الجامع بين الأحكام وبين منظومة القيم والأخلاق الدينية، والرابط بين الشريعة والمصلحة الدنيوية بين الدين والجزاء الأخروي

* ونحن نختار هذه الشهادة للعلامة «سانتلانا» من بحثه عن «القانون والمجتمع» المنشور في كتاب «العمدة تراث الإسلام» الذي أشرف على تخطيطه والتأليف فيه العلامة «سير توماس أرنولد» (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) وهو الكتاب الذي ضم مجموعة من الدراسات العلمية الرصينة التي كتبها أساطين الاستشراق الأوروبي عن معالم الحضارة الإسلامية وإبداعات علماء الإسلام

فهي شهادة علم من أعلام الفكر العربي والإسلامي نأخذها من مصدر متميز جامع لشهادات أساطين علماء الاستشراق. يقول العلامة «د فيد دى سانتلانا»:

(أ) **الدولة الإسلامية**:

* «إن رأس المجتمع الإسلامي ... يعمل بوصفه نائب دولة أو رئيس حكومة ... أو بوصفه خليفة الرسول ... وخلفاء الرسول ما هم بوارثي رسالته الروحية (وإن كان يؤثر عنهم في الجماعة صفة سيدية). أو الوكالة تتبعه رسالته وتقصد المصالح المدنية والدنيوية للمجتمع الإسلامي، لقد أبى «أبو بكر» (٥١ ق هـ - ١٣هـ ٥٧٣ - ٦٣٤م) قبول لقب

« خليفة الله » واكتفى باسم « خليفة رسول الله ». ثم درج لقب أمير المؤمنين منذ زمن « عمر بن الخطاب » (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤ م). فحدد بذلك وضوح صفة ممثل السلطة العليا. الذي هو في الحقيقة ليس عاهلاً (ملك) بل هو « أمير » نظراً لمدلول الأصلي للعبارة الرومانية رئيس الأشراف »

أن اسم الإمام الذي نطلق مدلوله لفظة Antistes أي قائد الصلاة، بقي حتى الأخير عنوان الأعظم رئاسي صفة في العهد الإسلامي، وبكلمة أخرى، كانت وظيفته الدينية أصل جميع وظائفه الأخرى. وهي في الشريعة الإسلامية « العدل، الجهاد، الجباية، تحكيم العدل والتقليد

فإذا ذكر الكتاب لفظة « إمام » غير موضحة، فإنهم يقصدون أمير الدولة المطلق وهم يريدون مصدر جميع السلطات التي تصرف شئون المملكة كافة باسمه، وليس في هذه الأمور ما يضفي على الخليفة صفة قداسة أو ما يسمه بميسم الكهنوت. كما ادعت بهذه السمة هيئات حاكمة معينة في تاريخ العالم

والحقيقة هي أن سلطة الخليفة كرئيس ديني لا يمكن أن تعد سلطة حبرية أو بابوية مثلاً - فهو يتجرد تماماً من صفة الكهنوت، لأن حكومة المسلمين ما كانت في أي زمن أو ظرف حكومة دينية Hierarchy ولم يوجد فيها تعاقب

رسـولي، والإمـام في سـلطانه الدنيوي ليس سيدا (ربا) للأمير وكل جماعة المسلمين، وأعماله تستمد قوتها وقانونيتها من امتثالها لقانون إن الأمير يجب أن يضع نصب عينيه مصلحة المجموع

فهذه الغاية «أمر الأمراء على الناس» وكما يجب أن يقدم الوكيل حسابا صحيحا على من يجره لموكله وسيده، كذلك يتحتم على الخليفة أن يسترشد بالله

* الزعيم والشعب والإمام والجماعة، اصطلاحات بسيطان يحملان كل النظام السياسي الإسلامي. وبتفسير معنى الدولة كذلك إنه تتمثل الدولة وسلطة الحكومة التنفيذية، متمركزا في شخص الخليفة الذي تحتم عليه وظيفته أن يمارس تلك السلطة عندما يكون القانون واضح المدلول صريح فهو من هذه الجهة لا يملك أي مقدرة على تحوير القانون، بل هو مضطر إلى تطبيقه بحذافيره كما في الأحوال التي لا يسوغ القانون للقاضي أن يجتهد. لكن حريته في قضايا القضايا التي لم يرد فيها نص هي حرية غير محدودة، لأنه ليس وكيلا عاديا، بل محل ثقة كما أن تقييد القانون موكول إليه بصورة خاصة، وبجانب حريته هذه في التصرف القضائي، تمتد سلطته إلى شئون كثيرة عامة أخرى، كإدارة دفة الحرب، وتقسيم الغنائم

وفرض الضرائب على الأموال، وصرف أموال الدولة في شتى الوجوه وتعيين العمال (الحكام) والموظفين".

* "إن الرابطة التعاونية الموجودة بين الخليفة والشعب تبقى متينة ووثيقة العرى ما دام الخليفة صالحا للقيام بواجبه في خدمة المجتمع الإسلامي، فإذا لم يعد أهلا لمنح ثقته ما يريده منه ظل سلطانه، وفسخ العقد شرعا بين المتعاقدين ويتم هذا الفسخ والإلغاء عند العجز الجسماني أو عند فقدان الحرية كوقوع الخليفة أسيرا في يد المشركين والكفار".

* "... اختيار رئيس المجتمع الإسلامي لا يمكن تركه للظروف والصدف أو لأعمال العنف والعصيان، بل يجب أن يجري الاختيار بعد التفكير المتأني والتأمل المحكم الناضج، ويقوم بأعباء تلك الخطوة المستحقة من أهل الرأي، الذين هم وحدهم يقدرون أن المرشح للخلافة صالح لملء هذا المنصب الجليل أم لا".

فلا يمكن أن يكون مجموع الناخبين هو أمة المسلمين كلها، لأن الناخبين هم أولئك الذين عرفوا بعلمهم ومنزلتهم وتجربتهم في أمور الدين والدنيا، وبأخلاقهم المتينة. هؤلاء وحدهم يصلحون لأن يكونوا المحكمين في هذا الشأن والنهي، أي إلى رجال السيف والقلم. يرجع أمر انتخاب الإمام، والمعني بهم مشاهير الشخصيات المدنية والعسكرية

Polis ... Civitas

له عند الإسلام، فالله هو الاسم الذي يطلق على سلطة المجتمع في حفظ المصلحة العامة، وعلى هذا الأموال تكون بيت المال هو «بيت مال الله» والجند هم «جند الله»، حتى الموظفون العموميون هم «عمال الله».

وعلينا نحن أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما سنقرر الرأي على ذلك.

الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائع وقوانين الغربية، لأنها شريعة دينية تعتبر فكرة أصلاً، وقد يحصل في العادة خلط بين الحيثيتين. فالإسلام كالمسيحية أو كأي دين آخر له عقائد مخصوصة ينفرد بها، مما لا يمكن بالطبع أن يعرضها أولئك الذين نزلت فيهم إلى النقد والبحث، ولكن من الظلم والتجني أن نصمها بالجمود والشدة، كما لو ألصقنا بالمسيحية التهمة نفسها، إذ لا يوجد في أي نظام ديني عظيم الحصر حتى نسأل شيئاً أكثر من مجرد العقيدة.»

أسس المجتمع الإسلامي:

* «وهي القانون الإلهي (الشريعة) إن طبيعة هذه الجمعية الملتفة حول الدين، والمستكة تحت حكم الله

هي التي تحدد معنى الفقه والقانون، وهي بالنظر إليها والى الأسلاف

مجموعة من القواعد السائدة التي فرضها الشعب ... من أساس ورد عن طريق ممثليه، وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق الشعب وعاداتهم

إلا أن التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك فإن صح أن الله هو رأس المجتمع الإسلامي وسلطته الأعلى، فالقانون لا شيء أمام إرادته والقاعدة القانونية هي القاعدة التي صبغها المشرع الأعظم (الله) على شعبه المختار والخضوع للقانون بما هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه ومن ينتهك حرمته أو يشق عصا الطاعة عليه لا يأثم تجاه النظام الاجتماعي فقط، بل ويقترف خطيئة دينية أيضا، لأنه «لا حق لمن ليس لله فيه نصيب».

«فكل مسائل الفقه كان مرجعها الأخير علم الكلام (اللاهوت).

الإيمان الصحيح:

«هذا القانون، أو التشريعة، التي توزع العدالة بالقسطاس على الجميع بلا تفضيل، يستند إلى الإيمان القويم أساسا فعلى المسلمين أن يفوا بالعهود التي يقطعونها على أنفسهم وليس لهم أن ينتفعوا بمال مسلم حرم لم يحرمه»

«وهذا التفسير للإيمان القويم إنما هو تفسير حقيقي أدى بصورة جوهرية حتى أنه يرتفع إلى فكرة «المطلق» وفقاً «للدرسة» ومن المدهش أن يكون ذلك قريب فهمه من التفسير المادي الإقطاعي للإيمان الصحيح، ذلك التفسير الذي يرى الأمانة فيه من الولاء والخضوع الشخصي، وبينما في شريعة الإسلام نجد وسع المجال للحكم الإرادة الشرعية، وتعلق أعظم الأهمية على القصد القانوني، لا على نص القانون الحرفي، بل إرادة البشر كافية مهما كان الحلول بصفة قانونية، ولكن فيما كان بطلان أو صحة أي مبدأ قانوني مرهونا بأمر شكلي أو نص حرفي في الشريعة الإسلامية، يتجلى ذلك بمقارنة بما لا يحصى من الصيغ الشكلية في قوانين الجرمان، فقاعدة «الرضا في العقود يجعلها مبرمة» هي قاعدة جوهرية في نظر فقهاء القانون.

المساواة:

تحرم أي رابطة بأي شكل كان، التفوق من كل أنواع العنصرية، بطلان أي اتفاق أو عقد غير مؤكد لنتيجة كل هذه المميزات في الشريعة الإسلامية نبثت من هذا الأصل ونتجت على مبدأ لعدم (المساواة) وبكلمة أخرى تكون العدالة رائدة المساواة في كل مرحلة من مراحلها، والافتئات عليها إنما هو ضرب من المستحيل.

ولقد اعتاد عقله المعنوي أن يضع نصب عينيه تثبيت كفتي الميزان كلما رجحت إحداهما على الأخرى، أعني بعدل وحق كل محاولة ترمي إلى تطبيق النص الحرفي مدفوعًا "بخدمة العدالة" كما جرى علماء القانون عادة على تسميته ".

* " ومن بين المسائل القانونية التي عملها من الشريعة الإسلامية، الأنظمة القانونية الخاصة بالشركة المحدودة (القيراط) وبعض المصطلحات القانونية العينية في قانون التجارة. وإذا نحن ضربنا صفحا عن كل ما تقدم، فلا شك في أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم الجانب الأكبر من شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفهومنا العصرية. وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور ".

* أيكون معنى أن الشريعة الإسلامية مرجعيتها دينية، أن الفكرة الدينية قد أعاقت تطور القانون الإسلامي؟

إن هذا الاستنتاج ليس إلا سوء فهم لتلك الوحدة الفكرية التي تتمثل فيها مصدر قوة الإسلام الرئيسي

إن علم القانون ليس إلا جزءا من علم الكلام (الثيولوجيا)، وربما كانت الشريعة الإسلامية، قد صرحت بالثيوقراطية أكثر من الشريعة المسيحية بمقارنتها مع الحكم المدني،

ولكن يجب ألا نسبق كثيرا وراء هذا التفسير، فلو رددنا تأملاً لوجدنا أن ما ذهب إليه هو المعنى الذي قصده فقهاء المسلمين.

إن الفرق بين حقوق الله وحقوق العباد ليس فيه من معنى أكثر من الفارق بين القانون العام والقانون الخاص. وللفكرة الدينية بلا ريب أثر عظيم، ولكن ليس بالمقدار الذي يصفه المرء. هذا التأثير مستمد مع الصبغة الأخلاقية التي تسود القانون. أي العلاقة التي نقترب عليها لنوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيدا تاما. فأحكام الشركة والقرض وشروط الشهادة وعلاقة العبد بالسيد وعلاقة المدعي والمدعى عليه، وكل اتفاق أو عقد يتهيأ فيه موضوع علاقة قانونية ذات صبغة أخلاقية. فهو أسمى درجة من أن يكون محض منفعة. فالرهن مثلا شكل من أشكال المعونة المتبادلة، لأن المرتهن يعين المالك على الاحتفاظ بملكه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة ٢) وفي الحديث: "الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (رواه الإمام أحمد).

وهكذا ترسم الأخلاق والآداب في كل مسألة حدود القانون. ولذلك جاء الحديث النبوي: "ما ليس لله فيه سهم ليس للمرء فيه حق" وسهم الله هو إرادته في منحه كل

شخص من مستحقه، وليس له أن يجور على ما يعود لغيره.
وأما الحد الثالث أخيرا وقد بلغنا مرحلة "الحق المطلق"
الذي هو سمة المجتمعات المسلمة قاطبة "

" إن الفقه حقيقة اجتماعية، يتعلق قسم منها بالفرد وقسم بالمجتمع، فكل شيء لا ينضوي تحت لواء المنافع الشخصية يصدق عليه اسم "حقوق الله" لأن الله في الشرع الإسلامي يقوم مقام سلطة المدينة Givitas وهو المبدأ الروماني القديم ومن الحقوق الإلهية، القوانين المتعلقة بالعتق والوصايا والأنكحة وصلة الرحم وقانون الجزاء وتحريم الربا هذه القوانين لا يمكن التغاضي عنها أو التقليل من شأنها، لأنها متعلقة بمصلحة المجموع و تعبير أصح "بالنظام العام"، وهي خارجة عن إرادة الفرد

أما القسم الثاني من الحقوق، وهي الحقوق المتعلقة بالفرد وشئونه الخاصة فتسمى "بحقوق العباد"، فإذ جعلت الحرية نقطة البدء (الحرية هي أولى القواعد في الشرع الإسلامي)، وجدت فقهاء المسلمين قد وصلوا إلى هاتين النتيجتين

١ - تجد الحرية حدودها في طبيعتها نفسها؛ لأن الحرية المطلقة معناها فناء البشرية، والحدود التي تقف عندها الحرية هي ما اصطلح على تسميتها بالقواعد القانونية (الشريعة)

٢ ســس فـي هده لحدود اسـطـط و غـلـو ، لأن الغاية لمنوحـة من فرصها هي المـنفعة و لصلاح و لخير بأعظم ما يسـتطيع الفـرد أو المجموع أن يحـي مـهـ ىمك لمـنفعه وهـي لغاية لـتي يهدف إليها الشـريعه ـيها أيضا محدوده ومعيدة

ن لمحـه حاظفه بلعيها علـى محتمل لأنظمة لقضائية . قـد يكون ـ فيها بعض معون على تعريفـا لقو عد لعمليه لهده الشريعة

كما كـ ىعـرد حليفـة لله فـي رضـه ، فقد وهـبه حـقه ملـكاب تدرك لحقوق . وأسـاسها حق المـرء بوصفه فرد فـي السـلامة والحرية فالحريـة هي لحق الطبيعي لكل مخلوق بشـري . أما الرق فهو استثناء لتلـك لقاعدة « كان ادم و حواء وكلاهما حر » من هذا المبدأ استخلص الفقهاء المبادئ الكثيرة

فللمرء أن يقتني ما يشـتهي ، ويصنـع بماله ما يريد ؛ لأن متاع الدنيا جميعه حق لاسـتعمال البشر وانتفاعه ولكن الله مقرر حق الملكية والحيازة وضع لهذا لحق حدا وأتاح الفرصه لكل مرئ في معرفة بمقدار مخصص به من مصادر الثروة العامة صيانه لنظام الاجتماعي

لكن لمحض من يظن أن ممكنه أن يصفها حق إنما هي غير محدودة. فهي في الواقع تحد حدودها في صنعتها نفسها، وفي الهدف الذي تسعى إليه

إن الذهب نفسه مع هذا سبب يصلح به حاله ويكفي حاجة المعنى الحر المحض لا ... لا لسده ولتغيره لولا عمد هويته ومرونته الطرية

فلو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية لوجدنا من غير أن نكرهم ونعرف أوجه آياتها تحت ما نسمي ... حق الاستعمال والنفع، فهي ترى في كل صرف لا نفع فيه تبذير وهو إثم بالنسبة. فالنفعة في نظر الشريعة هو نوع من التحليل العقلي يحجر على كل مال به شرعا. هذه الشريعة حريصة على الاعتدال والقصد في كل شيء واتباع الطريق الوسط في إنفاق الثروة لكونه يتفق تماما مع حكمة الشارع وطبيعة الشريعة من حكمة الله في الخلق لأنه نعمه على البشر"

"ومما لا مراء فيه أن الشريعة لم تدخل في جميع التفاصيل، حسبها أن تكون عددا معينا من القضايا ذات الطابع العدوي ... فتبحثها وتشرحها. وقديما قال المشرعون الرومان: "إن قوة القانون هي في الأمر والنهي والسماح والعقاب" على أن الشريعة الإسلامية ذات الطابع الديني لم تنس أن أضافت مبدأين قانونيين إلى ما سبق ذكره. وهما: المقبولات والمستهجنات فإذا

سىقطى نفسه العقدي من الشق الأول وأضعنا اليه مبدأين لحديدين . ثم لدينا أوجه خمسة يقانون الساند بشكله تام

ن هذه سمدئ لقانونية عبى تعدد أشكالها ، تئول إلى غايه واحدة هي رفـ د عدم (المصلحة) لذلك فليس لهذا لقانون لالهي مصدرا و لبشرى هدف . الا سعادة لبشر ورفاهه واعيس لنافذة لا يمكن ان تخطئ رؤية هذه الغاية وان شق عليها ن تتوصحها لاول وهله

إن لقانون لسائد (لشريعه) ومعناها بالعربية « طريق الموسه » هو نظام لصرورت سكن الشاط البشرى الذي يهدف الى تيسير حاجات البشرية

ان لشريعه الحمديه أبعث لقيود الصارمة والمحرمات المختلفه التي فرضتها شريعة موسى على اليهود . ونسخت الرهبانيه المسيحيه ، وأعلنت رعنها الصادقة في مسايرة الصيغه البشريه . والنزول الى مستواها ، واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العمليه في الحياه

يسروا ولا تعسروا ، تلك هي التعاليم والاوامر التي كان النبي يسمعها الى من رسل اليهم ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة ٢٨٦)

ن للإسلام بعض الميل إلى التصوف. ولكن لا إلى الزهد بمعنى الداخلي، إنه لا يقر تعذيب النفس وإماتتها بالتقشف وسائر الوسائل الأخرى التي تضعف البدن، وتكبت الغرائز البشرية الطبيعية، إنه يحض المؤمن على التمتع بـ «الطيبات» التي أنعم الله بها عليه، شريطة أن يتبع الحدود ويخضع للسنة التي وردت في القرآن. وهي ليست بكثيرة ولا بالصارمة

إن الشريعة الإسلامية تحبذ كل نشاط عملي مجد. فهي تشجع الزراعة والتجارة وكل أنواع العمل. وتعزر أولئك المتطفلين الذين يعيشون على كواهل غيرهم. وتحتم على كل فرد أن ينفق على نفسه من كدحه وكسبه. ولا تحتقر أي عمل متى أغنى صاحبه عن غيره وكفه ذل السؤال

يقول «ويت» (١٨٢٣ – ١٨٩٢م) «الإسلام هو دين الإنسان، فروح الشريعة الإسلامية تتسم بطابع حي، هو إفساح أرحب المجالات للأعمال البشرية»

ولما كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية، غير جامدة، خلاف الشريعة (الرومانية) من بعض الوجوه، ثم إنها علم «مادامت تعتمد على المنطق الجدلي الديالكتي. وتستند إلى اللغة فإنها ليست جامدة. ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة، والمذاهب الفقهية المختلفة تتفق كلها على هذا الرأي فيقول

من المذهب الحنفي [illegible] القاعدة [illegible] بحسب [illegible]
[illegible] لا [illegible] لا [illegible] النحو
[illegible] في [illegible]
[illegible] الأخرى [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] وقد [illegible] موضوع [illegible]
[illegible] وهو الاستعمال [illegible]
[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]
[illegible] هي [illegible] من [illegible]
[illegible] في [illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible] يكون [illegible] الاستعمال [illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible]

[illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible] القاعدة [illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible]

"تلك هي الميزات التي تسمو بالشريعة الإسلامية في كمال حقيقتها، قد تحرز على وضعها في أرفع مكان، وتقنيدها أحق بمديح علماء القانون، وهو خليق بها.

ومجمل القول: إنها سمت حتى أصبح علينا أن نرسم وجه مقارنة بينها وبين قواعد وجزئيات القوانين الإقطاعية السائدة (ونقصد في الغرب) أيام ازدهرت الشريعة الإسلامية.

أما ما يفتقر إليه التشريع الإسلامي، فهو ما كانت تفتقر إليه جميع الشرائع التي سبقتها وعاصرتها وكثير من الشرائع التي لحقت بها، أعني وجود مسحة من الفوضى وعجز في التبويب والتنظيم، تلك الأسباب التي أدت بالعرب إلى الضعف السياسي، وكانت في الوقت نفسه مصدر الضعف الذي تحلى نظامهم القانوني...."(1)

---

(1) [illegible] القانون والمجتمع، تراث الإسلام، ص٤٠٩، ٤٣١، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٣، ٤٣٨.

(٢)

شهادة العلامة شاخت

والسهادة الثانيه (في مبدا الكتاب) يقدمها واحد من اعلام المستشرقين الألمان الذين مثلوا إلى حد بعيد المكانة المرموقة في الثقافة العربية صحة في الدراسات الاستشراقية بالدوائر العربية وهو المستشرق العلامة «شاخت - جوزيف shach J» (١٩٠٢ - ١٩٦٩م)

والذي شغل بعد تخرجه في جامعتي «برسلاو» و«شرح» كرسي الأستاذية في جامعات «فرايبورج» سنة (١٩٢٧م) و«كونسبرج» سنة (١٩٣٢م)، و«الجامعة المصرية» سنة (١٩٣٤م)، و«كسفورد» سنة (١٩٤٨م) و«الجزائر» سنة (١٩٥٢م)، و«ليدن» سنة (١٩٥٤م)، و«كولومبيا» سنة (١٩٥٧م)، سنة (١٩٥٨م) كما شغل عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق. وكثير من المجامع والجمعيات العلمية كما أشرف على مجلة الدراسات الإسلامية

وهو متخصص في الشريعة الإسلامية ومحقق لكثير من كتب الفقه الإسلامي ومترجم لكثير منها إلى الألمانية، مع كتابة الدراسات والتعليقات عليها بالألمانية والإنجليزية والفرنسية. وله كذلك مؤلفات في نشأة الفقه الإسلامي. وتاريخه وفي بيوتها حكم السوف

الإسلامية على المذهب الحنفي . وفي علم جماع القانون الإسلامي وفي علم الكلام الإسلامي كما حقق ونشر كثيرا من النصوص التراثية الإسلامية في الطب والتاريخ .

يشهد الباحث شهادة لتمييز الحجة على

- تميز الإسلام بأنه دين ودولة

تميز الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي بالشمول

الوحدة والتنوع في الفقه الإسلامي .

أن سلطة القانون الإسلامي هي فوق سلطة الدولة

وجود تأثيرات الفقه الإسلامي في الثقافات القانونية التي جاورته أو اتصلت به أو انفتحت عليه ..

يشهد الباحث على ذلك كله فيقول

إن النزاع بين الدين والدولة اتخذ أشكالا مختلفة

ففي المسيحية كان هناك صراع من أجل السلطة السياسية من جانب هيئة كنسية منظمة تنظيما متدرجا ومتماسكا ينتهي إلى رياسة عليا ، وكان القانون الكنسي أحد أسلحتها السياسية

أما في الإسلام ، فلم يكن هناك قط ما يشبه الكنيسة . والشريعة الإسلامية لم تستند مطلقا الى تأييد قوة منظمة ، وعلى ذلك فلم يحدث قط في الإسلام صراع حقيقي بين القوى . . . . الإسلام . .

حيث هو دين يسعى إلى تنظيم الناحية القانونية في حياة المسلمين قائم لا ينكره أحد.

ومن أهم ما أورثه الإسلام للعالم المعاصر قانونه الديني، الذي يسمى «بالشريعة».

والشريعة الإسلامية تختلف اختلافا واضحا عن جميع أشكال القانون، إنها قانون فريد في بابه، إن الشريعة الإسلامية هي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية، كما تشتمل على قواعد سياسية قانونية (بالمعنى المحدود) وعلى تفاصيل آداب الطهارة وصورة التحية وآداب الأكل وعيادة المرضى.

والشريعة الإسلامية هي أبرز ما يميز سلوك الحياة الإسلامية، وهي لب الإسلام ولبابه.

والخصيصة الرئيسية التي تجعل التشريع الإسلامي على ما هو عليه، وتضمن وحدته مع كل ما فيه من تنوع، هي نظرته لجميع أفعال البشر وعلاقاتهم بعضهم ببعض، بما في ذلك ما نعده قانونيا (jegal) على أساس المفهومات التالية: الواجب، والمندوب، والمتروك، والمكروه، والمحظور، وأدمج القانون بمعناه الدقيق في هذا النظام من الواجبات الدينية إدماجا تاما

داخل النظام. فإنها لم تتمثل تمثلا كاملا. كما أن العلاقات القانونية بين الناس لم تتحدد تحديدا تاما وتوضع في صورة واجبات دينية وأخلاقية. وقد احتفظ ميدان القانون بطابع فني خاص به أيضا. وأمكن للاستدلالات القانونية أن تسير في طريقها الخاص. ونتيجة لذلك، فهناك تمييز واضح بين المجال الديني المحض والمجال القانوني بمعناه الخاص الحقيقي.

وبالرغم من أن التشريع الإسلامي قانون ديني، فإنه من حيث الجوهر لا يعارض العقل بأي وجه من الوجوه. فهو لم ينشأ من عملية وحي متواصل فوق العقل، وإنما نشأ التشريع الإسلامي من منهج عقلاني في فهم النصوص وتفسيرها؛ ومن هنا اكتسب مظهرا عقليا مدرسيا (scholastic) أن قواعد التشريع الإسلامي إنما تصدق بفضل وجودها فقط لا من أجل عقلانيتها (المجردة) وهي لا تدعو إلى مراعاة النص الحرفي للأحكام دون روحها.

والتشريع الإسلامي ذو منهج منظم. وهو يؤلف مذهبا متماسكا. ونظمه المتعددة مرتبطة بعضها مع بعض.

وتتجلى في الشريعة الإسلامية نموذج بليغ لما يمكن أن نسمي «قانون الفقهاء» (jurist's law) فقد أنشأ هذا القانون، وطوره فقهاء متخصصون أتقياء بجهود خاصة.

[illegible]

فيها العلم القانوني، لا الدولة، دور المشرع، ويكون فيها للمؤلفات العلماء قوة القانون، وكان هذا يعتمد على توافر شرطين هما:

١ - أن العلم القانوني كان هو الضامن لاستقرار الدولة واستمرارها.

٢ - وأن سلطة الدولة حلت محلها سلطة أخرى (هي سلطة الفقه والفقهاء)، وكانت هذه السلطة من العلو بحيث فرضت نفسها على الحاكم والمحكوم.

وقد تحقق الشرط الأول بفضل مبدأ الإجماع الذي له السلطة العليا بين أصول الفقه الإسلامي، وحقق الشرط الثاني القول بأن أساس الشريعة الإسلامية هو حكم الله.

وفيما يتعلق بالشيعة بصفة خاصة فربما يظن أن نظريتهم السياسية كان لا بد لها من أن تؤدي إلى وضع نظرية (في الفقه) مختلفة في الجوهر عن غيرها، ولكن ذلك لم يحدث، ذلك لأن فقههم الوضعي (الاجتهاد) شأنه شأن فقه الخوارج، إنما هو على اتصال وثيق بفقه السنة، كما أن الجماعات التي أخذت بهذه المذاهب ظلت على اتصال وثيق أيضا بعضهم مع بعض اجتماعيا (ثقافيا) في معظم العصور، وسوف نعرض للتشريع الفقهي الإسلامي (لدى

أصحاب هذه المذاهب) لا في تعديلات ظهرة بعض الشيء
كانت تقتضيها مذاهبهم لدية لحوقه

إن التشريع الإسلامي قد أثر تأثير عميق في جميع
فروع القانون في إقليم الكرج (جمهورية جورجيا). وذلك
خلال فترة تمتد من عصر السلاجقة إلى عصر الصفويين
٤٩٤هـ ١١٠٠م ٩٠٦هـ ١٥٠٠م). ثم إن هناك
تأثير للتشريع الإسلامي على قوانين أهل الديانات الأخرى،
من اليهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام وعاشوا
في الدولة الإسلامية

فبالنسبة للجانب اليهودي يبدو أن موسى بن ميمون
(ت ٦٠١هـ ١٢٠٤م) قد تأثر ببعض ملامح المؤلفات
الإسلامية في تقسيمه للمادة الفقهية في مدونته بعنوان
مشنه توراة» (Mishnah Torah) وهو عمل لم يسبقه
إليه مثله أحد من اليهود. ويقول نص في تعليقه على المشنة
التي كتبها بالعربية (وذلك في مقدمته لما يسمى بالفصول
الثمانية) يقول: إنه.. إلى جانب التلمود والمدارش قد أفاد
من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين وكثير غيرهم. وإنه
ينبغي على المرء أن يقبل الحقيقة من أي إنسان قالها
لكن هذه المسألة كلها لم تبحث بحثا كاملا حتى الآن

ومن جهة أخرى فإنه بالنسبة للجانب المسيحي، فليس هناك شك في أن الفرعين الكبيرين من الكنيسة المسيحية الشرقية، وهما اليعاقبة والمونوفيزية (Monphysites) (أصحاب الطبيعة الواحدة) والنسطوريون (Nestorians) لم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي[68]

٦٨ [illegible] الإسلامية [illegible] ص ١١ ، ٢ ، ٩ ، ٢٥ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٢٩ [illegible] الإسلام [illegible] (١٩٦٨م)

(٣)

شهادة برنارد لويس

والشهادة الثانية هي للمستشرق الشهير برنارد لويس (Lewis,B) (١٩١٦م) وهو مستشرق معاصر إنجليزي الأصل أمريكي الجنسية والإقامة حاليا. تخرج في جامعتي لندن وباريس، وعمل أستاذا للتاريخ الإسلامي في جامعتي لندن وكاليفورنيا. وهو صاحب الدراسات الكثيرة في الفرق الإسلامية. وبخاصة الإسماعيلية. وفي التاريخ التركي الحديث. وفي السياسة والدبلوماسية العربية الحديثة. وفي التاريخ الاقتصادي للشرق الإسلامي. وفي المقارنة بين الشيوعية والإسلام.

وبالرغم من أن هذا المستشرق الكبير برنارد لويس يهودي الأصل، ومناصر للصهيونية، وشديد العداء والافتراء على المسلمين ودينهم وقضاياهم الأرضية والقومية. وشديد الاستعداء لصانع القرار الأمريكي ضد الإسلام وأمته. فإن ذلك كله لم يمنعه من أن يشهد للإسلام بالتميز في وصفه دينا ودولة. وبالسماحة في الانتشار السلمي. وبالعدل الذي تميز به الحكم الإسلامي مع الشعوب غير المسلمة. بل والشهادة على الطابع الصليبي للحملات الاستعمارية التي شنتها أوروبا على العالم الإسلامي منذ اقتلاع الإسلام من الأندلس أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

سهد «برنرد لويس» على ذلك كله. فيقول

«لقد نادى مؤسس المسيحية أتباعه أن أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله؛

أما مؤسس الإسلام فقد جعل من نفسه قسطنطين (٢٧٤ - ٣٣٧م) ففي حياته أصبح المسلمون جماعة سياسية ودينية كان الرسول سيدها المطلق. يحكم أرضا وشعبا. ويقضي بين الناس ويجمع الضرائب. ويقود الجيوش. ويسير الدبلوماسية ويخوض الحرب»

ولقد كانت الخلافة نظام حكم حدده الإسلام وحل الدين مكان القرابة كأساس للهوية الجماعية والولاء. كما حل محل العرف وأقره بوصفه قانون الجماعة

وبينما كان شيخ القبيلة يحتل منصب الرئاسة على أساس الموافقة الطوعية للقبيلة. وهي موافقة يمكن إلغاؤها. فإن محمداً ﷺ جاء إلى الحكم على أساس من الاختيار الديني المطلق. وأن مصدر سلطته ليس من الطرف المحكوم. بل من الله

ومن الأمور التي تسترعي النظر أنه بينما تتحدث السياسة العربية عن «المدينة» و«التاج» و«الدولة» أو «الشعب» كمصدر للسلطة. فإن الإسلام التقليدي يعد الله هو المصدر النهائي للسلطة. فالجماعة من الله. والممتلكات

مال الله. وكذلك لحال بالنسبة مجلس والعمائم الحربيه، ومن اعدؤها فهم بالطبع «أعداء الله»

ومما أنه لا يوجد إلا إله واحد وقانون الهي واحد، يجب أن يكون هنالك حاكم أعلى واحد على الأرض يمثل الله ويطبق القانون

ففي عهد الخلفاء الراشدين نجد أن الحكومة هي المؤسسة الدينية. ولا يوجد غيرها

لقد وجد البرابرة الجرمان في الغرب دولة ودينا «سابقين لهم». هما الإمبراطورية الرومانية والكنيسة المسيحيه، وكل منهما قد تطور في اتجاهات مختلفة. بدءا من أصول متباينة. واحتفظ كل منهما بمؤسساته وطبقاته الحاكمة وقانونه. وقد اعترف البرابرة بكليهما وقبلوهما وغزوا عن هدفهم وحاجاتهم الخاصة بهم في إطار البنية المزدوجة لكل من الروماني والمسيحي

أما العرب الفاتحون في الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا، فقد جاءوا بدينهم. وأوجدوا نظام حكم خاص بهم، لا فرق فيه بين الكنيسة والدولة لكونهما شيئا واحدا وللرئيس المطلق لهذا النظام هو الخليفة والواقع أنه لم يكن يوجد في المفهوم الإسلامي مقابل حقيقي لمثل تلك الأضداد ديني ودنيوي. روحي وزمني. كهنوتي وعلماني. وحتى

المقدس والمدنس. ولم يظهر مثل هذا التصنيف إلا بعد وقت طويل جدا، حين استحدثت كلمات جديدة للتعبير عن مفاهيم جديدة. أما في العهد الأول للإسلام، فلم تكن الثنائية التي تدل عليها تلك الكلمات معروفة؛ لذا لم يكن هنالك من كلمات للتعبير عنها.

ولقد قيل إن الخليفة يجمع في ذاته وحده بين شخصي البابا والإمبراطور. على أن التشبيه مضلل. فلم تكن للخليفة وظائف بابوية أو حتى كهنوتية. ولم يكن يدعى للتعليم الرسمي، وحل الدنس من النعمة. ولم تكن وظيفته عرض الدين ولا تفسيره، بل كان واجبه هو دعمه وحمايته، وإيجاد الظروف التي من شأنها أن تمكن الناس من العيش حياة إسلامية صالحة في هذه الدنيا، وبذلك يعدون أنفسهم للحياة الآخرة. ولتحقيق ذلك يتوجب عليه أن يحافظ على القانون والنظام ضمن حدود الإسلام، وأن يدافع عن هذه الحدود ضد الهجمات الخارجية، وكان من واجبه ما أمكنه توسيع تلك الحدود، حتى تشمل العالم كله، عندما يحين الوقت إلى اعتناق الإسلام.

والواقع أن مدى عمر الأسرة سياسيا لوسطي. لم يكن للمسلمين بل كان الإسلام دينه.

فقد كان المتصوفون والمبشرون المحترفون، ومعظمهم من الأتراك، يتنقلون بين القبائل التي لم يتم إخضاعها فيما



ورد الشهير، بمشروع لدمج السيطرة، دين لكفاح الذي يزدهر
على الحدود بين الإسلام والوثنية

وحين قال "ريتشارد نولز R Knolles" وهو مؤرخ
الأتراك في عصر الملكة إليزابيث (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) بأن
الإمبراطورية التركية هي "الرعب الحالي للعالم"، كان يعبر
بذلك عن الشعور العام في أوروبا. ففي حومة الصراع بين
أوروبا والأتراك كان هناك ترفع وغطرسة من كلا الجانبين
وكان الأتراك هم الجانب الأكثر تسامحا.

وعندما انتهى الحكم العثماني في أوروبا، كانت الأمم
المسيحية التي حكمها العثمانيون خلال عدة قرون لا تزال
محافظة على لغاتها وثقافاتها، ودياناتها وحتى إلى حد ما
بمؤسساتها. كل هذه الأمور بقيت سليمة وجاهزة لاستئناف
وجودها الوطني المستقل. أما إسبانيا وصقلية فليس فيهما
اليوم مسلمون ولا ناطقون باللغة العربية.

إن الفلاحين في المناطق التي غزتها (من الأتراك) قد
تمتعوا، بدورهم، بتحسن كبير في أوضاعهم، وقد جلبت
الحكومة الإمبراطورية العثمانية الوحدة والأمن مكان
الصراع والفوضى. كما ترتبت على الغزو نتائج اجتماعية
واقتصادية مهمة.

ففى خلال حروب افتتح فصى على قسم كبير من الارستقراطية لورنية القديمة ممالكه بالأراضي ومنحت أملاكها لمن لم يعد لها مالك على شكل قطاعات للجنود العمسيين، على أن الإقطاعات في لنظام لعثماني كانت بصورة أساسية منحة تعطي لصاحبها الحق في تحصيل العائدات، وكانت من الناحية المضرية على الأقل ممتدة طول الحياة أو لفترة اقصر، ولكن كان لحق فيها يسقط عندما يتوقف صاحبها عن القيام بالخدمة العسكرية ولم تكن تنطوي على حقوق وراثية ولا سيادة قضاعية من جهة أخرى كان الفلاحون يتمتعون بنوع من الأملاك لوراثي للأرض، وكان النظام العثماني يحمي هذا التملك من التفتيت ومن تركيز الملكية معا وكان لفلاحون يتمتعون بقدر من الحرية في حقولهم أكبر بكثير من ذي قبل، وكانت الضرائب التي يدفعونها تقدر بصورة محققة، وتجمع بطريقة إنسانية، وذلك بالمقارنة بما كان يجري في نظمة الحكم السابقة والمجاورة

هذا الأمن والازدهار كان لهما دور كبير في جعل الفلاحين يقبلون لنواحي الأخرى الأقل حدية في لحكم العثماني، وهما يفسران إلى حد كبير الهدوء الطويل لدى سكان

ولايات العثمانية حتى تفجرت الأفكار القومية التي جاءت من الغرب

وحتى عملية « الدوشرمة Deushrime » وهي عملية الجمع القسري للأولاد من بين الفلاحين المسيحيين من أجل تجنيدهم في الجيش العثماني وفي خدمة الدولة لم تخل من نوع إيجابية. فبهذه الوسيلة، كان أفقر القرويين تقريبا يستطيع أن يرتقي إلى أعلى المراكز وأكثرها نفوذا في الإمبراطورية (العثمانية). وقد ارتقى الكثيرون بالفعل، وأحضروا أسرهم معهم. وهو شكل من أشكال المرونة الاجتماعية كان مستحيلا في المجتمعات الأرستقراطية للعالم المعاصر للعثمانيين.

كانت الإمبراطورية العثمانية، بالإضافة إلى كونها عدوا خطرا، ذات سحر قوي. كان المسيحيون والطموحون يحسبون إليها، ويتعرضون لما تتيح لهم في ظل التسامح العثماني. وكان الفلاحون المسحوقون يتطلعون بأمل إلى أعداء أسيادهم. وحتى «مارتن لوثر» (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) في مؤلفه المسمى «النصح بالصلاة ضد الأتراك» الذي نشر سنة (١٥٤١م) قد حذر بأن الفقراء المضطهدين على يد الأمراء وأصحاب الأملاك والمواطنين الجشعين، يفضلون

على الأرجح العيش في ظل الأمر ث سلامي للمسيحيين من أمثال هؤلاء.

صحيح أن فرسان أوروبا قد حاربوا بشجاعة ضد الأتراك. لكن فلاحيهم لم يكونوا يهتمون بانتصارهم وحتى المدافعون عن النظام القائم كانوا يعجبون بالفعالية السياسية والعسكرية للإمبراطورية التركية. وكان جزء كبير من الأدب المعبر الذي شاع في أوروبا حول التهديد التركي، يهتم بمزايا النظام التركي وحكمته بكامله في تقييده.

عندما وصل «فاسكو دا جاما» (١٤٦٩-١٥٢٤م) إلى «كلكوتا» قال إنه أتى يبحث عن المسيحيين والتوابل. وكان هذا تلخيصا صادقا للدوافع التي أرسلت البرتغاليين إلى آسيا. كما أنه يلخص، مع بعض التعديل، موقفهم من «الجهاد» الذي كانت رحلات البرتغاليين، بمعنى من المعاني، جزءا متأخرا عليه. كان الشعور الديني قويا لدى البرتغاليين الذين ذهبوا إلى الشرق. فكانت الرحلات الاستكشافية بعد فصلا دينيا. وفي سمر الحملة استعادة البلاد المحتلة والحروب الصليبية وكفاحا ضد العدو الإسلامي نفسه.

وعندما وصل البرتغاليون إلى آسيا الشرقية كان خصومهم هم القوى الإسلامية لمصر وتركيا وفارس والهند وكانت هيمنة هذه القوى هي التي أطاحوا بها

وبعد البرتغاليين جاء الأسبان والفرنسيون والإنكليز والهولنديون، وقد اقتسموا فيما بينهم السيطرة والرؤية الغربية على إفريقيا وحتى آسيا دامت حتى القرن العشرين (٦٩)

---

(٦٩) برنارد لويس: السياسة والحرب، دراسة منشورة بكتاب تراث الإسلام، القسم الأول، ص ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٣، ٢٦٩، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة د. محمد زهير السمهوري، تحقيق وتعليق د. شاكر مصطفى، مراجعة د. فؤاد زكريا، طبعة الكويت، سلسلة عالم المعرفة، سنة ١٩٧٨م.

(٤)

شهادة مارسيل بوازار

والشهادة الرابعة هي للمستشرق السويسري « مارسيل بوازار » الذي يشهد للإسلام بالتميز بوصفه دينا ودولة معا وللقانون الإسلامي بالتميز عن القانون الوضعي العلماني. سواء في المصدر، أو في المقاصد... الأمر الذي يعني تميز المنظومة القانونية في الحضارة الإسلامية، وخطر وخطأ محاولات علمنة القانون وحركة الحداثة والاجتماع في عالم الإسلام بما في ذلك من مصادمة للتصورات الفلسفية للإسلام إزاء الكون... والمكانة الإنسان في هذا الوجود كما يحددها الإسلام.

يشهد « مارسيل بوازار » على هذا التميز والامتياز الإسلامي. فيقول:

« ومن المفيد أن نذكر فرقا جوهريا بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوروبي الحديث سواء في مصدريهما المختلفين أو في أهدافهما النهائية.

فمصدر القانون في الديمقراطية الغربية هو إرادة الشعب



وهدفه لنظام وبعدل داخل لمجتمع

في الإسلام، فالقانون صادر عن الله

وبناء عليه نصير الهدف الأساسي لدى سيده المؤمن

هو البحث عن معرفة أمر الله بأخبار الوحي، وتطبيقه

فالسلطة في الإسلام تعرض عدد من المعايير الأخلاقية

[illegible] في العالم العربي بأن يحكم الناس بمعايير

حسب الاحتياجات والرغبات السائدة في عصرهم

---

(٧) [illegible] محمد عبد [illegible] الإسلامي [illegible] ١٩٩٣م [illegible]
القاهرة سنة ١٩٩٣م [illegible]
ص٣٧، طبعة القاهرة سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

(٥)

شهادة لامبتون

وعلى هذا الدرب درب تمييز الإسلام عن الدين ودونه، ومنهج سائر مختلفة ومغايرة مع ذلك بالرفض لكهانة التي عرفتها السلطة الكنسية الأوروبية على هذا الدرب تأتي شهادة الخمسة للمستشرق لامبتون (ث س) الذي يقول

« إن الدين في الإسلام لم يكن منفصلاً عن السياسة، كما أن السياسة لم تكن منفصلة عن الأخلاق وقد تطورت في الدولة الإسلامية، بالتدريج مجموعة من الأفكار السياسية الإسلامية».

* «إن سلطة الإمام كانت سلطة تنفيذية تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، والدفاع عنها، فقد ورث عن الرسول ﷺ سلطته القضائية والتنفيذية فحسب، أما السلطة التشريعية، فلم يكن له منها شيء، بل إن سلطته في الاجتهاد كانت محدودة إذ إن هذه السلطة، فيما يبدو، قد آلت إلى الأمة في مجموعها، ثم انتقلت عن طريق الإجماع لتصل إلى حصرها في العلماء».

---

(١) لامبتون [illegible] ... ص ٣٢ ... ٤٩ ...
[illegible] ... ١٩٧٨م

(٦)

خلاصة فى خاتمة

ر د حار ـ في حـ ه هده لسهد ت ال بعدم حلاصة
نم كـه هؤلاء المستشرقون الكـ ر عن

طبيعة السمطه في لدوبه لإسلاميه

وسميره عن جميع سلطات في لدول متى عرفتها
الحضارات الأخرى

وعن لقانون لإسلامي، وفقه لشريعة الإسلامية
متميز عن نواحي لاحرى من حيث لفلسفة و لمقاصد
قبل بقدم هنا حلاصة هده لشهادات نصوص أصحابها
في هده الخاتمة لهده شهادات

- ١ -

"ان ر س مجتمع لإسلامي بعمل بوصفه ب ب دوبه .
أو رييس حكومته أو بوصفه خليفة برسول وحمده
برسول ما هو بو ربي رساله بروحيه رون كـ يؤثر عنهم
في الحقيقة صفه لدينيه أو بوكاله ستعيد رسالته، ونعصيه
المصالح لدينيه و لدنيوية مجتمع لإسلامي) وليس
في هده لامور ما يضفي على لحليفه صفه لقد سية، ويسمه
بمسم الكهنوت كما دعت بهده التسمية هيئات حاكمه
معينة في تاريخ لعالم

إن سلطة الخليفة ... كرئيس ديني ... لا يمكن أن تعد سلطة حربية أو بابوية مثلاً. فهو مجرد تماماً من سلطة الكهنوت لأن حكومة المسلمين ما كانت في أي زمن أو ظرف حكومة دينية، ولا يوجد فيها نظام رسولي ... والإمام في سلطانه سوى نائب سيده (ربنا) ... إنه وكيل جماعة المسلمين وعماله يستمد قوته وقدسيتها من مبدأ القدس. إن الأمير يجب أن يضع نصب عينيه مصلحة المجموع، وكما يجب أن يقدم الوكيل حساباً صحيحاً عن تجارة لموكله وسيده كذلك يجب على الخليفة أن يسترشد بالله

والخليفة لا يملك أي مقدرة على تحوير القانون، بل هو مضطر إلى تنفيذه بحذافيره

إن الرابطة القوية الموجودة بين الخليفة والشعب تبقى متينة وثيقة العرى ما دام الخليفة صالحاً يقوم بواجبه في حماية المجتمع الإسلامي فإذا لم يعد أهلاً لمنح شعبه ما يريده منه، بطل سلطانه، وفسخ العقد شرعاً بين المتعاقدين. "

- ٢ -

"إن اختيار رئيس المجتمع الإسلامي لا يمكن تركه للظروف والصدف، ولا لأعمال العنف والطغيان بل يجب أن تجرى انتقاؤه بعد التفكير الملي والتأمل الحكيم الصحيح. ويقوم بانتقائه تلك الصفوة المختارة من أهل الرأي، الذين

هـم وحدهـم بضرورة أن ترشح للخلافة صالح لما هو هد
بسبب الحلبل أم لا.

فلا يمكن أن يكون مجموع المسلمين أمة الإسلام كلها
أن يختاروا هم وسطا الذين عرفوا بعلمهم، وميولهم
وتجاربهم في أمور الدين والدنيا، وأخلاقهم المتينة، هؤلاء
وحدهم يصلحون لأن يكونوا المحكمين في هذا الشأن
والبهم أي إلى رجال السيف والقلم يرجع أمر انتخاب
الإمام، وأعني بهم مشاهير الشخصيات المدنية والعسكرية
أصحاب الحل والعقد، هؤلاء مخولون، باسم المجتمع
كله، أن يشترطوا الاشتراك شكل الرابطة أو الواجب الذي
ستنشأ منه سلطة الأمير، ويعينوا مقدار الطاعة الواجبة له من
الرعية

- ٢ -

وإن الشريعة الإسلامية ذات حدود مرسومة
والمبادئ ثابتة، لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا
وقوانين (الغربية) لأنها شريعة دينية تعبر أفكارنا أصلا،
فالفقه والقانون بالنسبة لنا (نحن الغربيين) هو مجموعة
من القواعد المساندة التي أقرها الشعب، إما رأسا وإما عن
طريق ممثليه، وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق
البشر وعاداتهم

لأن المفسر الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك فكل مسائل الفقه الإسلامي مرجعها الأخير علم الكلام (اللاهوت) وهي تستند إلى الإيمان فوبها أسسا والأخلاق والآداب هي التي ترسم حدود القانون في كل مسألة من المسائل والخضوع لهذا القانون إنما هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه ومن ينتهك حرمته أو يشق عصا الطاعة عليه لا يأثم تجاه السلطان الاجتماعي فقط، بل ويقترف خطيئة دينية أيضا والشريعة الإسلامية توزع العدالة على الجميع بلا تخصيص.

* "وإن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم الجانب الأكبر من الشريعة الإسلامية قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمها العصرية. وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقية على مر الدهر.

* "ومع هذا. فإن شريعة الإسلام تفسح أوسع المجال لتحكيم الإرادة البشرية وتعلق أعظم الأهمية على القصد القانوني، لا على نص القانون الحرفي".

* "وإن المرجعية الدينية للشريعة الإسلامية لم تعق تطور القانون الإسلامي فهي بجوهرها شريعة تطورية غير جامدة. تتغير بتغير الظروف والأحوال. والمقنون أيضا في هذه الشريعة عرضة للتبديل والتغيير نظرا للاستعمال والتطبيق.

... ليس للسلطة معصومة في نظر الفقهاء المسلمين معروف واحد... هي شكل من أشكال القواعد عبر المكتوبة التي تكمن فيها القدرة على صنع القانون وتبديله وتحويره «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن». فعندما يكون الاستحسان (الاستعمال) متوافقا بالنظام العام غير مخالف للأخلاق الحميدة وغير مضاد للقواعد الشريعة العامة، كان له بذلك قوة القانون، لأن ... الجزاء المصمم له.

* والفرق بين حقوق الله وحقوق العباد ليس فيه من معنى أكثر من الفرق بين القانون العام والقانون الخاص. وفكرة الدينية بلا ريب أثر عظيم، ولكن ليس بالمقدار الذي يعطيه البعض، فهذا التأثير مستمد من الصبغة الأخلاقية التي تسود القانون، أي من العلاقة التي تقترب ... بين القواعد القانونية والقواعد الأخلاقية ... تماما.

وكل ... وعقد ... فيه ... علاقة قانونية ذات صبغة أخلاقية لهو أسمى درجة من أن يكون محض ...

وليس هذا ... الإسلامي، لا هي ... ويسرى هدفها الا سعادة البشر ورفاهه ... فقد ... الشريعة الإسلامية القيود الصارمة والمحرمات ... التي فرضتها شريعة موسى على اليهود ونسخت الرهبانية المسيحية، وعلت رغبتها الصادقة في مسيرة الصبغة الشرعية والنزول في مستواها، وسحاب ... جميع حاجات الإنسان العملية في الحياة.»

- ٤ -

"ومن قواعد التشريع الإسلامي ومقاصده لدعوته هي الحرية

ولقد وصل الفقهاء في الحرية إلى سبيلين

١ نجد للحرية حدودها في طبيعتها نفسها، لأن الحرية المطلقة معناها فناء البشرية، والحدود التي تقف عندها الحرية هي الشريعة والقواعد السماوية

٢ وليس في هذه الحدود تسلط وقهر، لأن مجموعة البشر جاءت من فرضها هي الجماعة وصلاح بعضهم لا يستطيع الفرد أو المجموع أن يحيا منها تحت الجماعة التي هي أصل محدودة ومقيدة

ولما كان الفرد هو خليفة الله في أرضه، فقد وهبه خالقه ملكات تدرك الحقوق، وأسماها حق المرء بوصفه فرد في السلامة والحرية فالحرية هي الحق الطبيعي لكل مخلوق بشري، أما الرق فهو استثناء لتلك القاعدة

فللمرء أن يقتني ما يشتهي، ويصنع بماله ما يريد، لأن متاع الدنيا جميعه خلق لاستعمال البشر واستمتاعه. ولكن الله، مقرر حق الملكية والحيازة، وضع لهذا الحق حداً، وأتاح الفرصة لكل امرئ في معرفة المقدار المخصص له من مصادر الثروة العامة، صيانة للنظام الاجتماعي.

فالشريعة الإسلامية حريصة على الاعتدال والقسط في

كل شيء، واتباع الطريق الوسط في نطاق المشروع، لكونه يتفق تماما مع حكمة التشريع ووظيفة الشريعة من حكمة الله في الخلق لأنه رحمة على البشر.

وهذا يحفز على وضع الشريعة الإسلامية في أرفع مكان، ونقلدها أجل مديح علماء القانون ... وهو حقيق بها "

(من شهادة "سانتيلانا").

- ٥ -

"ومن المفيد أن نذكر فرقا جوهريا بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوروبي الحديث، سواء في مصدريهما المختلفين أو في أهدافهما النهائية.

فمصدر القانون في الديمقراطية الغربية هو إرادة الشعب ... وهدفه النظام والأمن داخل المجتمع.

أما في الإسلام، فالقانون صدر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الأساسي الذي ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله باحترام الوحي، والتقيد به ... فالسلطة في الإسلام تفرض عددا من المعايير الأخلاقية ... بينما تسمح في الطابع الغربي، بأن يختار الناس المعايير حسب الاحتياجات والرغبات السائدة في عصرهم"

من شهادة "مارسيل بوازار"

٦

* « لقد عرفت المسيحية الصراع بين الدين والدولة . وكان هناك صراع من جانب الكنيسة من أجل السلطة السياسية

وكان العبور الكنسي أحد أسلحة السياسة للكنيسة في هذا الصراع

أما في الإسلام، فلم يكن هناك قط ما يشبه « كنيسة » والشريعة الإسلامية لم تنشد مطلقا أي تأييد قوة معصومة، وعلى ذلك فلم ينشأ قط في الإسلام جدار حقيقي بين الدين والدولة وظل مبدأ الفاتحين لاسلام من حيث هو دين يسعى أن يحطم ساحة القانونية في حياة المسلمين قائما لا يتحداه أحد »

٧ -

* ومن أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الشريعة»

والشريعة الإسلامية تختلف اختلافا واضحا عن جميع أشكال القانون ... فهو قانون فريد في نوعه ... الشريعة الإسلامية هي جميع الأوامر الإلهية التي تنظم حياة المسلم من جميع نواحيها وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعادات والشعائر الدينية، كما تشتمل على قواعد

سياسية ودينية. وعلى تفاصيل آداب الطهارة وصور النجاسة وآداب الأكل. وعيادة المرضى ومع ذلك، فهناك تمييز واضح بين المجال الديني المحض والمجال القانوني بمعناه الحقوقي الحقيقي

والشريعة الإسلامية هي أبرز مميز لأسلوب الحياة الإسلامية، وهي لب الإسلام ولبابه

* ومع أن التشريع الإسلامي قانون ديني، فإنه من حيث الجوهر لا يعارض العقل بأي وجه من الوجوه، فهو لم ينشأ من عملية وحي متواصل فوق العقل، وإنما نشأ التشريع الإسلامي من منهج عقلاني في فهم النصوص وتفسيرها ومن هنا اكتسب مظهرا عقليا صرفا، وقواعد التشريع الإسلامي لا تدعو إلى مراعاة النص الحرفي للأحكام دون روحها

وتتجلى في الشريعة الإسلامية نموذج نبع لما يمكن أن نسميه قانون الفقهاء فقد أنشأ هذا القانون وطوره فقهاء متخصصون أنفسهم بجهود خاصة.

* إن التشريع الإسلامي يقدم مثلا لظاهرة فريدة يقوم فيها العلم القانوني، لا الدولة، بدور المشرع، ويكون لمؤلفات العلماء قوة القانون

ولقد اعتمد هذا على شرطين

وبهما أن المعلم القانوني كان هو الضامن لاستقرار دائه واستمراره

وثانيهما أن سلطة الدولة حلت محلها سلطة أخرى (هي سلطة الفقه والفقهاء) وكانت هذه السلطة من العلو بحيث فرضت نفسها على الحاكم والمحكوم

وقد تحقق الشرط الأول منفصل منذ الإجماع لدى به السلطة العليا بين أصول الفقه الإسلامي. وتحقق الشرط الثاني القول بأن أساس الشريعة الإسلامية هو حكم الله

* ولقد أثر التشريع الإسلامي تأثير عميقا في جميع فروع القانون كما أثر على قوانين أهل الديانات الأخرى من اليهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام، وعاشوا في الدولة الإسلامية فلم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي.

(من شهادة «شاخت»)

٨٠

* «إن الدين، في الإسلام، لم يكن منفصلا عن السياسة، كما أن السياسة لم تكن منفصلة عن الأخلاق ولقد تبلورت في الدولة الإسلامية بالتدريج مجموعة من الأفكار السياسية الإسلامية

ن سمطه (مد كـ ســصه بموبصا بهدف بى تطبيق
شـريعه لاسـلاميه و مدفع عنهـ . فقـد ون (الامد) عن
ارسـولية نسـلطتين لعصـيه . و تنفيذيه فحسـب ، أم
سـلطه سـسريعيه فـم يكن م مـها شـيء . بن ن سلطته في
لاحـهـد كـ محـدودد . ذن هـده اسـعطه قـد بـدو . فه
لت بي الأمه في مجموعـها بـرغـم من ان الاحـمع تمـال لى
حصرهـ في العـمـاء
(من شهادة . لاستر ب)

وبعد
هكـذ شـهـد هـولاء لعلمـاء وهـم مـن بـرر أسـاتـدد
لاستـر ق على تمـر الإسلام
تمـير عـعة لـسعـه في مـعـد سـسـي لإسلامي عـن
مصـم نكهـنويـه وعن سطـم العمـبـه حـمـع فهي
سمعه مدنية ذ ت رسـاله إسلاميه ومرجعيه دسه
و تمبـز العقـه الإسـلامي فقـه الشـريعه لإسـلامية
وقـنونهـ عـن القوانين بوصعيه بمصدره لإلهي ، ورسـالته
الاحلاقية التي برسـم لحدود لهـم القـانـون لـذي يعيـن في
ذ ن لوقـت تحقيق مـفعه لإنسـانية ، و لمصلحه اسرعيه
معتـبرة بمجـتمـع لإسلامي

[illegible]

المصادر والمراجع

* د. أحمد عبدالوهاب: الإسلام في الفكر العربي، طبعة القاهرة. سنة (١٩٩٣م)

* سانسلانا: القانون والمجتمع، منشور بكتاب (تراث الإسلام)، ترجمة جرجيس فتح الله، طبعة بيروت. سنة (١٩٧٣م)

* شاخت: تراث الإسلام، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٨م)

* لامبتون: الفكر السياسي عند المسلمين، منشور بكتاب (تراث الإسلام)، طبعة الكويت. سنة (١٩٧٨م)

* لويس برنارد: تراث الإسلام، طبعة الكويت. سنة (١٩٧٨م)

د. محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية العربية، طبعة القاهرة. سنة (٢٠٠٣م)

الفهارس

١ عوامل تفوق الإسلام ٣



Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)



هدية مجلة الأزهر لشهر شعبان

١٤٣٦ هجرية

magazine.azhar.eg

مطابع [illegible] التجارية - قليوب - مصر